

# معالم الأسس الفكرية والمعرفية للبناء

## التربوي في القرآن الكريم



د. طالب بن صالح بن حسن العطاس

الأستاذ المشارك بقسم أصول التربية - كلية التربية - جامعة جدة

- من مواليد عام ١٣٨٧هـ بمدينة جدة.
- تخرج في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بقسم الدراسات الإسلامية في جامعة الملك عبد العزيز بمدينة جدة عام ١٤١٢هـ.
- نال شهادة الماجستير من قسم التربية الإسلامية والمقارنة بكلية التربية في جامعة أم القرى عام ١٤٢٧هـ بأطروحته: "تطوير طرق اكتشاف ورعاية الموهوبين في المملكة العربية السعودية في ضوء خبرة الولايات المتحدة الأمريكية"، كما نال شهادة الدكتوراه منه عام ١٤٣٢هـ بأطروحته: "تطوير التعليم عن بعد في جامعات المملكة العربية السعودية في ضوء الاتجاهات العالمية المعاصرة".
- من أعماله المنشورة: "تصور مقترح لإعداد معلم التعليم عن بعد في المعاهد العلمية القرآنية بالمملكة العربية السعودية"، "التربية والتعليم في مكة المكرمة في عهد الخلفاء الراشدين"، "الدور الريادي للمعلم في تحقيق أهداف التربية الأمنية بين المقاصد الشرعية والقيم الأخلاقية"، "التربية الدولية من منظور إسلامي".
- البريد الإلكتروني: talebsattas@gmail.com



### الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على معالم الأسس المعرفية والفكرية في القرآن الكريم وذلك في منحى تأصيلي إجرائي تتبعي تمس الحاجة إليه لندرة الدراسات التي في هذا الباب والتي تعزز مهارات التأصيل التربوي واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي للوقوف على أهم المعالم الدالة على تلك الأسس ومطابقتها في الأدبيات التي تناولتها وألف بينها في مطالب تقرب أهم المعالم التي تيسر تحقيق أهداف الدراسة وقد كان من أهم نتائج الدراسة ما يلي:

- الأسس المعرفية والفكرية في القرآن الكريم لها خصائصها المميزة عن غيرها من الأسس التي مرجعيتها الفلسفات الوضعية ولهذا التميز تطبيقاته التربوية.
- استخراج الأسس التربوية من القرآن الكريم له مؤشرات عامة ومعايير ضابطة ليس كيفما اتفق وللقران منهجية في بيانها وتؤثر التبعية الفكرية في عملية استخلاص تلك الأسس وصور التأويل والتبديل للنصوص الشرعية، وأنواع القراءات المفتوحة الأسس المعرفية والفكرية للبناء التربوي.
- أهمية وجود آلية واتجاه فكري في سياق استنباط واستخراج الأسس من القرآن الكريم، وترشح المنحى المنظومي كآلية لها خلفيتها النظرية الإسلامية، وترشح الاتجاه الفقهي كمنهجية لاستنباط الأسس، وعلى أن الفقه والفكر متلازمان في هذا المسار.

- يمكن نمذجة استخراج الأسس التربوية الفكرية والمعرفية من القرآن الكريم بصورة منظومية تظهر العلاقات التبادلية بين مكوناتها قربتها الدراسة بنموذج عام مقترح.

- ساقطت الدراسة بعض الأمثلة على الأسس المعرفية والأسس الفكرية التي تعين على ضبط الممارسات التربوية عموماً للتدليل على ما يمكن استنباطه من نظائر تلك الأسس.

**الكلمات المفتاحية:** الأصول الإسلامية للتربية، فلسفة التربية الإسلامية، الفكر التربوي الإسلامي.

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن من أوثق الخطوات في مضمار المبادرة والشهود الحضاري لهذه الأمة والتمكن من الكفايات الثقافية والعلمية التي تنجح المبادأة والحث على اتباع النهج القويم الذي جاءت به هذه الشريعة؛ هو أن يتمكن شداة العلم من المثقفين والتربويين والمفكرين من التضلع من شهود محاسن هذه الشريعة وما فيها من كمال وجمال وعدل وحكمة، ويتلطفوا في تلمس الأسس الركينة للحق الذي يستنبطونه من أصولها، وهذه الكفايات ستمكنهم من بيان واضح ومعزز بالمقررات العلمية التي تغري المستمع والشاهد بالتعاطي معها، فما يملكه الأستاذ أو المفكر أو المنظر من كفايات معرفية تمكّنه من التصرف في العبارة والبيان المطابق للحقائق المختلف فيها، وما يجده في نفسه من مقدمات ضرورية يمكن أن يقرها في صور مقدمات أولية مبسطة متدرجة توصل الحقيقة العلمية أو التربوية، وسبب التفهق في هذا المضمار عدم وجود التمثل الذهني المعرفي للمنهجية الفكرية والمعرفية الواضحة لهذا الدين الذي يتجاوز الطرح الخجول أو المتذبذب إلى القيام بالشهادة والبلاغ والبيان الذي يذهب زيد القطيعة المعرفية بين الدنيا والدين القيم، ويظهر اليقين المعرفي الذي تطمئن إليه النفوس والعقول وتسكن إلى هدايته ونوره.

قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

وإن التربية التي تنطلق من مسلمات الوحي من القرآن الكريم والسنة النبوية تراعي التربية الشاملة للإنسان، فتغذي الروح بزيادة الإيمان وتؤنسه بالمعرفة التي تزيل عنه وحشة المجهول، وهو ما لا تفي به الفلسفات الوضعية، قال شيخ

الإسلام ابن تيمية: «للمتفلسفة في الطبيعيات خوض وتفصيل تميزوا به بخلاف الإلهيات، فإنهم أجهل الناس بها وأبعدهم عن معرفة الحق فيها، وكلام أرسطو معلمهم فيها قليل كثير الخطأ»<sup>(١)</sup>.

وكما أنها تعنى بروحه فهي تعنى بجسده؛ فتهدب شهواته وتترك له فرص الحياة السعيدة، لكن دون بغي أو جنوح، وتراعي الجانب المعرفي وطاقته وتترك له فضاءً كبيراً من الحرية التي تحدها بأسوار من الغيب الذي ترشده إلى الإيثار به دون محاولة تسوّر بدون سلطان قد تضربه في تحقيق أهم مقاصد الخلق، وهو العبودية لله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَلَا نَقُفُّ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

«وفلسفة التربية في القرآن الكريم تختلف تماماً عن فلسفات التربية في النظم الحديثة والقديمة خاصة الغربية، فأساس التربية في الغرب يبنى على الحرية والديمقراطية والفردية، وفي الشرق من العالم الشيوعي يبنى على دكتاتورية الطبقة العاملة والمادية الجدلية والشيوعية الجماعية. والقاعدة التي تنطلق منها فلسفات التربية المعاصرة هي جحود الألوهية والربوبية، أي: جحود الخالق العظيم وهيمته وسيطرته على جميع المخلوقات، وهذا يعني: أن هذه الفلسفات ليس لها رؤى توحيدية صحيحة، فهي خالية من أي ارتباط بعقيدة أو خلق أو قيم تتصل بالملأ الأعلى»<sup>(٢)</sup>.

إن الأسس الفكرية والمعرفية للفلسفات التربوية المعاصرة المهشة تتموضع في الخلفيات النظرية لتلك الفلسفات، وتتلون بفكر من يخترعها وما يتأثر به من

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، (١٤٢٥هـ)، "مجموع الفتاوى"، تحقيق عبد الرحمن بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، (١٦٣/١٩).

(٢) علوان، علي محمد (٢٠١٤)، فلسفة التربية في القرآن الكريم، من أصول التربية الوطنية في السودان، مجلة دراسات تربوية، كلية التربية، جامعة إفريقيا العالمية، فبراير، العدد الثالث، السودان. (ص: ٩١-٩٢).

إضافات عارضة، وهي السبب في القصور والضعف في البناء التربوي العالمي. إن هذه الاعتبارات السابقة تنبه على أهمية الاستقلال المعرفي والفكري من التبعية الفلسفية الغربية والشرقية، وبناء التربية على أصول معرفية تنبثق من نصوص الشريعة الخاتمة لا الشرائع الأرضية والفلسفات الوضعية، فكل له وجهة يوليها وشرعة ينتهجها، تنطلق منها تصوراتها ومعارفها وسلوكياتها وتربيتها، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وهذا يعني تتبع واستقراء الحقائق والمفاهيم التي تشكل الأسس المعرفية والفكرية وكيفية إشخاصها كقواعد ومبادئ ترشد المعرفة والفكر، وما هي الآليات والوسائل والتوجه الفكري الذي يسر ذلك، وهذا هو ما يحدو بالباحث لاستقراء الأدبيات التي تناولت عملية التأصيل والتجديد التربوي والنظر إلى مصدر الوحي - القرآن الكريم - كمصدر ومؤسس ومنشئ للأصول النظرية العامة للتربية، ومنها الفكرية والمعرفية التي تتفرع عنها الممارسات التربوية التي إذا تظافت شكلت الرسوم التربوية العامة التي يمكن تقييم مخرجاتها ورصد تظاهراتها في سلوك المربين والمعلمين في تصوراتهم ووجهات نظرهم، وجملة المعالجات الإجرائية للموقف التعليمي، سواء في الأساليب أو طرق التدريس أو استراتيجياته.

ولكي تتم الفائدة فسنذكر ما سبق من مطالب ترشد استنباط تلك الأسس وتبين المعالم والمحددات، ونعرج على أمثلة تقرب المراد، وهذه المطالب تجعل الدراسة فيها نوع من الحجة إذا ما قارنها بغيرها من الدراسات التي يمكن أن تكون من الدراسات السابقة، لكن بنوع من التجانس العام أو النوعي الذي يشير إلى اختلاف الدراسة عن سابقتها من الدراسات بما يمكن أن تجليه من المفاهيم والمعايير والمبادئ والأساليب المعينة على فهم واستنباط الأسس المعرفية والفكرية من القرآن الكريم.

فقد لقي الاهتمام بأصول التربية وعملية إعادة تصميم البناء التربوي في ضوء ما يمليه القرآن من أصول وقواعد ومحددات منهجية اهتمامًا كبيرًا، حيث تناولت عدة دراسات هذا الموضوع من زوايا عامة جاء بعضها شاملاً لكل الأسس، وتحت معنى المنظور الشامل مثل:

- دراسة (الكيلاي، ٢٠٠٨)<sup>(١)</sup>، حيث بينت هذه الدراسة أهمية بلورة فلسفة تربوية تنبثق من أصول الشريعة، وأظهرت معالم تلك الفلسفة بما تناولته من تفسير لجملة من العلاقات بين المفاهيم التربوية في ضوء نصوص القرآن، وتناولت كذلك نظرية المعرفة وبينت معالمها، فهناك تجانس بين الدراسة الحالية وهذه الدراسة باعتبار عموم الموضوع، إلا أن هذه الدراسة تتعرض لآليات الاستنباط وتنبه على أمثله وخط منهجي نموذج ناظم لعملية استخلاص الأسس في مستويات تتفرع عن الأسس العامة المعرفية والفكرية التي تظهرها في العادة المقارنة بين الفلسفات الوضعية والفكر الإسلامي، حيث تتعرض في العادة للتصورات المتعلقة بالله، والعالم، والكون، والطبيعة الإنسانية، وفي مستوى تجريد عالي، فهذه الدراسة ستعرض للأسس المذكورة في مستوى إجرائي أقل تجريدًا وألصق بالممارسات التربوية العامة في المجالات المختلفة.

- ودراسة (نشوان، ١٩٩١)<sup>(٢)</sup> فقد تناولت هذه الدراسة عناصر المنهج بالمقارنة بين النظريات التربوية وبينت معالم النظرية التربوية من منظورها الإسلامي من منظور فكري ومعرفي، فهذه الدراسة تلتقي مع الدراسة الحالية في محاولة بيان المعالم الفارقة بين تلك الفلسفات والفكر الإسلامي التربوي، وما يقوم عليه من مبادئ وحقائق وأساليب، إلا أن هذه الدراسة ستتجه نحو التفصيل النوعي الموضوعي

(١) الكيلاي، ماجد عرسان (٢٠٠٨م)، "فلسفة التربية الإسلامية"، دراسة مقارنة بالفلسفات التربوية المعاصرة، سلسلة نظرية التربية الإسلامية، دار الفتح للدراسة والنشر، الأردن.

(٢) نشوان، يعقوب حسين (١٩٩١م)، "المنهج التربوي من منظور إسلامي"، دار الفرقان للنشر، الأردن.

وبصورة إثرائية ومتعلقة بالقرآن الكريم.

- كما تناولت بعض الدراسات الأسس المتعلقة بالمنهج كإداة التربية الإسلامية، وتناولت دراسات أخرى ما يظهر منهجية القرآن في معالجة قضايا البناء التربوي الأخلاقي والاجتماعي، مثل دراسة: (الدوسري، (١٤٢٥)<sup>(١)</sup>، حيث تناولت الإشارة إلى إبراز بعض لمحات منهج القرآن الكريم في البناء التربوي الأخلاقي والاجتماعي، والتنويه بالوسائل الكفيلة بتفعيل التعاليم التربوية ذات الطابع الإصلاحي من خلال القرآن الكريم. وتوصلت إلى أن: «هذه الوسائل تؤول إلى مجموعتين: وسائل دافعة ووسائل مانعة، أما الوسائل الدافعة فهي التي تنمي الاستعداد النفسي لفعل الخيرات مثل القدوة الصالحة والموعظة والصحبة، والمجموعة الثانية هي الوسائل المانعة، وهي التي تحول بين المرء ورغبته في سيئ الأخلاق، وتعطل إرادته...»<sup>(٢)</sup>.

وهذه الدراسة وإلى دراسات مشابهة تلتقي مع هذه الدراسة في بعض متغيرات الدراسة، لكنها لم تتطرق إلى العلاقة بين متغيرات الدراسة هذه خاصة، وهذا يعد مبرراً لتناول موضوع الدراسة بالبحث.

### مشكلة الدراسة وأسئلتها:

إن تأسيس منهجية نظرية تخدم الفكر التربوي من منظور إسلامي ومن أعظم مصادرها وهو القرآن الكريم؛ يعد غاية ومطلباً مهماً في سياق استقلال الهوية التربوية؛ فإن الممارسات التربوية المتنوعة في النظام التعليمي تعتمد -ولابد- على خلفية نظرية فكرية ومعرفية، وإن الإنتاج التربوي الفكري والمعرفي في الوطن

(١) الدوسري، إبراهيم سعيد (١٤٢٥هـ)، "لمحات عن منهج القرآن في البناء التربوي ومعالجته"، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ندوة أثر القرآن في تحقيق الوسطية ودفع الغلو، المملكة العربية السعودية.

(٢) المرجع السابق، (ص: ٢١٢).



العربي والإسلامي لم يتجاوز طور الشعور بالمشكلة، والمبادرات في هذا المضمار لا تعدو أن تكون شحناً شعورياً يحتاج إلى عملية تحويل الفكر والمعرفة من مستوى المعرفة التقريرية إلى مستوى المعرفة الإجرائية التي تظهر في مساقات وأدلة إرشادية وتعليمية توضح الأسس والمعالم والمعايير، فترشيد السياسات التربوية وصياغة الأهداف ووضوح معايير التخيّر بين الوسائل والطرق والمناهج وإدارة التخطيط والتنفيذ، إلى غير ذلك من الممارسات التربوية التي تحتاج إلى أسس فكرية ومعرفية للانطلاق، وإن استيراد تلك الممارسات من أسس فلسفية وضعية يورث تضارب وفقدان الهوية التربوية.

و«لقد أثبتت الدراسات والأبحاث المتعلقة بطبيعة المعرفة وجذورها وطرقها، وكذلك الدراسات الاثنوغرافية<sup>(١)</sup> للدراسات النفسية أن هناك علاقة وثيقة بين المعرفة الناتجة والواقع الاجتماعي، فلكل أمة نظرتها الفلسفية للحياة التي تنتج المعرفة من خلالها، كما أكدت على أن نتاج الأبحاث العملية والتجارب التي تولدت عنها متأثرة بثقافة الباحث وانتماءاته الأيدولوجية، ومهما حاول أن يكون موضوعياً فليس بإمكانه التخلص من تلك العوامل المتشابكة»<sup>(٢)</sup>.

وهنا تظهر الحاجة إلى بيان معالم الأسس والمنطلقات الفكرية والمعرفية الإسلامية للبناء التربوي من المصادر الأصيلة للتربية الإسلامية، وأهمها القرآن الكريم لما فيه من تعميمات مهمة في هذا المجال، والنظر في كيفية ذلك، وفي هذا

(١) الإثنوغرافيا: علم وصف الشعوب، وهو أحد علوم الإنسان، وينصبّ على دراسة المظاهر المادّية للنشاط الإنساني من عادات وتقاليد، كالمأكل والمشرب والملبس. يُنظر: عمر، أحمد مختار عبد الحميد (١٤٢٩هـ)، بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، نشر: عالم الكتب، القاهرة، مصر (١/٦٣).

(٢) فهم، محمد عيسى، (١٤٠٥-١٤٠٦هـ)، إعداد أعضاء هيئة التدريس في الخارج ومشكلات المعرفة والتعليم في الغرب، الطبعة الثانية، مركز البحوث التربوية والنفسية (٢٣)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

السياق ترد هذه الدراسة لتجلية كيفية بلورة معالم الأسس الفكرية والمعرفية إلى حقائق وقواعد، وما يحتف بها من إجراءات وتصورات تمهد مباشرة مهمة إعادة بعث التأصيل والتنظير التربوي الإسلامي، وعليه يمكن ترجمة مشكلة الدراسة في السؤال التالي:

### ما معالم الأسس الفكرية والمعرفية للبناء التربوي في القرآن الكريم؟ ويترجم هذا السؤال إلى عدة أسئلة، هي كالتالي:

- ما مفهوم أسس البناء التربوي الفكرية والمعرفية في أدبيات التربية الإسلامية؟
- ما خصائص أسس البناء التربوي الفكرية والمعرفية في القرآن الكريم؟
- ما المنهج القرآني في بيان أسس البناء التربوي الفكرية والمعرفية؟
- ما آلية ومعايير ضبط بناء أسس البناء التربوي الفكرية والمعرفية في القرآن الكريم؟

### أهداف الدراسة:

تتمثل أهم أهداف الدراسة في التالي:

1. بيان مكونات منظومة البناء التربوي وأساسه الفكرية والمعرفية والعلاقات التبادلية بينها.
2. توضيح أهم المعايير التي تضبط عملية استنباط الأسس المعرفية والفكرية.
3. إبراز خصائص الأسس التربوية الفكرية والمعرفية في القرآن الكريم.
4. الإشارة إلى كيفية استخلاص الأسس المعرفية والفكرية بالاستعانة بالمنحى الفقهي كتوجه علمي، وبصورة تعين على فهم التأصيل المنهجي لأصول التربية واعتماد القرآن كمصدر رئيس.
5. بناء نموذج تصوري تخطيطي يوضح العلاقات المنظومية التي تراعى في استنباط الأسس المعرفية والفكرية، وموضع الأسس ومستويات المنظومات ذات العلاقة.

### أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من العلاقة الوطيدة بين الجانب النظري -الفكري والمعرفي- وبين الجانب التطبيقي المتمثل في الممارسات التربوية العملية التي تمتد بعرض النظام التعليمي والتي تعتمد على الجانب النظري، ولذلك فأهمية الدراسة لها جانبان: جانب نظري والذي يتمثل في التالي:

١. قد تقدم الدراسة بلورة للأسس التربوية الفكرية والمعرفية الموجودة في القرآن الكريم.

٢. أهمية استنباط المحددات التربوية الفكرية والمعرفية الموجودة في القرآن الكريم.

٣. تعميق الصلة وتأكيد التلازم بين التربية وأصولها المستنبطة من القرآن الكريم.

وفي الجانب التطبيقي تتمثل أهمية الدراسة في التالي:

١. قد تلفت الدراسة أنظار الأساتذة وبناء المناهج والمتخصصين ببناء المناهج المدرسية وبرامج إعداد المعلمين إلى أهمية تنمية مهارة الاستنباط لأصول التربية وبلورة تطبيقاتها في المناهج وبرامج الإعداد.

٢. تلبية توصيات المؤتمرات والبحوث التي تدعو إلى العناية بالتأصيل التربوي كمنطلق لبناء النظريات التربوية وفق رؤية إسلامية؛ تبين معالم الممارسات التربوية المختلفة وفق نور من القرآن.

### منهج الدراسة:

إنه بالنظر إلى أهداف الدراسة وأستلتها؛ فإنه يتعين المنهج: الوصفي (التحليلي)، حيث يجيب هذا المنهج عن الجانب التحليلي للدراسة، حيث سيتم مسح ما يتعلق بالدراسة وتحليل البيانات وتصنيفها؛ للتعرف على مباحث الدراسة

ومطالبها واستقراء الدلالات التي تحقق المعاني التي تستهدفها تلك المباحث والمطالب، ثم القيام بترتيب تلك المباحث ومطالبها الفرعية بصورة تستوعب ملامح الدراسة وبما يحقق أهدافها.

ثم في ضوء التحليل ومعطياته نقوم باستنباط وتفسير معالم ومحددات الأسس المعرفية والفكرية من القرآن الكريم، واستنتاج أهمية ذلك من المسح الوصفي، حيث يتم مسح الأدب السابق وجملة المصادر والمراجع التي تناولت تلك الأسس بالاستنباط والتأسيس بغرض الاستقراء والتمثيل لأهم متعلقات الأسس والمطالب العلمية التفصيلية المتعلقة بالدراسة، وهو: «بذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة»<sup>(١)</sup>.

### حدود الدراسة:

سيكون أهم محاور الدراسة الموضوعية، هي:

- مفهوم الأسس المعرفية والفكرية وما يتعلق بهما من أدبيات معاصرة وحديثة.
- العلاقة التبادلية بين تلك المفاهيم والقرآن الكريم، وهذه الأسس تتعلق بالتعاطي مع المعارف وكيفية توظيف الفكر في الحقول المعرفية وبصورة عامة، وهذه الأسس تبنى عليها المناهج والممارسات التربوية، فهي تتعلق بالبناء التربوي عمومًا لا بالمناهج خاصة، والتي هي أكثر تعميمًا، وهي التصورات المتعلقة بالله، والعالم، والكون، والطبيعة الإنسانية.
- أما الحدود الزمانية فستقتصر على معهود الخطاب الزمني الذي نزل به القرآن وما يترجم عنه من فقه وتفسير، وما يوضحه من معايير مطابقة لذلك المعهود الزمني لا ما استجد من قراءات معاصرة تلغي المعهود الزمني الأول.

(١) فودة، حلمي وصالح، عبد الرحمن (١٩٩٢م)، المرشد في كتابة الأبحاث، ط٦، دار الشروق، جدة، المملكة العربية السعودية، (ص: ٤٣).

## مصطلحات الدراسة:

مصطلحات الدراسة الإجرائية هي كالآتي:

**المعالم:** هي الدلالات والحدود والمطازن التي تعين على تصور مفهومي الأسس المعرفية والفكرية للبناء التربوي في القرآن الكريم، وهذه المعاني توافق المعنى اللغوي لدلالة المعلم<sup>(١)</sup>.

**الأسس التربوية:** هي المرتكزات والدعامات التي تقوم عليها التربية وتشتق منها، وهي في هذه الدراسة الأسس الفكرية والمعرفية.

**البناء التربوي:** هي جملة المكونات الأساسية التي تشكل منظومة التربية والعلاقات التبادلية بين تلك المكونات والامتدادات النظرية والتطبيقية لها، والتي تستوعب المنهج والمعلم والطالب والبيئة التربوية، وبما في ذلك أسسه الفكرية والمعرفية والنفسية والاجتماعية، وفي ضوء امتدادات شاملة تستوعب علاقة الفرد بنفسه وبمن حوله وبربه.

**الأساس التربوي الفكري:** هو المرتكز المنهجي الذي يعتمد عليه في توظيف المعرفة ومفرداتها من مفاهيم وحقائق وتعميمات بهدف التعامل مع معطيات الواقع وحل مشكلاته، والتي تستنبط من جملة أصول الشريعة والتراث الفقهي والثقافي الإسلامي.

**الأساس التربوي المعرفي:** هو المرتكز المميز لمنظومة المعرفة الإسلامية، وما ينتمي إليها وما لا ينتمي من مفهومات أو حقائق أو تعميمات، وفي ضوء نصوص القرآن الكريم.

- وسيعرض الباحث في الدراسة العلاقة بين الأساسين: المعرفي والفكري نظرًا للتقارب الظاهري بينهما.

(١) وجاء في المحكم والمحيط الأعظم: "ومعلم الطريق دلالته وكذلك معلم الدين على المثل، ومعلم كل شيء مظنته، وفلان معلم للخير كذلك، وكله راجع إلى الوسم والعلم". ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسحاق، (١٤٢١هـ)، "المحكم والمحيط الأعظم"، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٧٧/٢).

## المبحث الأول

### البناء التربوي والقرآن الكريم

#### توطئة:

إن من أجل ما ورثه علماء المسلمين من علم النبوة هو الحكمة التي تظهر آثارها في تناول الشامل لموضوعات العلوم؛ شرعية كانت أو اجتماعية أو طبيعية بحتة، وهذه النظرة الشاملة انعكست على الروية والأناة العلمية في إصدار الأحكام، وفي تناول الكليات وما يرتبط بها من جزئيات، وفي رعاية العلاقات التبادلية بين الجزئيات وما تسببه من نشوء تغيرات قد تؤثر في التقاط الصورة الشاملة للمشهد. وهذا هو ما نحاول رعاية اطراده في بيان مباحث الدراسة ومطالبتها.

#### المطلب الأول: مفهوم البناء التربوي والأسس الفكرية والمعرفية للتربية

إن التربية الإسلامية في معناها الأعم تستوعب كل التساؤلات التي شغلت الفلاسفة التربوية، و«إن التربية في حقيقة أمرها تشمل جوانب نمو الإنسان، إنها تنظيم للقوى والقدرات البشرية، وهي تعني التوجيه الشامل والكامل للحياة كلها، والتشكيل لطريقة الحياة الاجتماعية القائمة بالفعل، وبهذا تغدو عملية تعهد الفرد المسلم بالتكوين المنتظم بما يرقيه في مراتب التدين تصورًا وممارسة، وهو ما تدعو إليه التربية في القرآن»<sup>(١)</sup>.

وإذا أردنا تقريب معنى التربية الإسلامية في الاصطلاح، فيمكن تعريفها بأنها: «تلك المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض، في إطار فكري واحد يستند إلى المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام، والتي ترسم عددًا من الإجراءات والطرائق العملية، يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك سالكها سلوكًا يتفق وعقيدة الإسلام»<sup>(٢)</sup>.

(١) علوان، علي محمد (٢٠١٤م) "فلسفة التربية في القرآن الكريم"، مرجع سابق (ص: ٩٦).

(٢) علي، سعيد إسماعيل وآخرون (٢٠٠٨م)، "التربية الإسلامية المفاهيم والتطبيقات"، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ص: ٥).

وإذا نظرنا إلى التربية وغاياتها وما تعنى به في الجانب الروحي والحسي والعقلي كتربية شاملة، نجدها وردت في القرآن بمعانٍ تستوعب مستويات الممارسات التربوية، وللغئات العمرية التي يمر بها المتعلم، حيث تذكر عزة الشهري: «أن المتأمل في آيات القرآن الكريم التي تضمنت إشارات لمفهوم التربية يدرك أن للتربية في القرآن الكريم عدة مستويات، وأن هذه المستويات جاءت متوافقة مع طبيعة الإنسان ومراحل العمرية، وهذه المستويات هي:

- **المستوى الأول:** الإعداد والتنشئة والرعاية، قال تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤] وقال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٨].

- **المستوى الثاني:** التلاوة بمعنى تلاوة القرآن وتدبر معانيه وإدراك ما فيه من حقائق: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ [البقرة: ١٢٩].

- **المستوى الثالث:** تزكية النفس وتطهيرها وإزالة عوائق النمو السليم لها (ويزكيهم). يقول ابن تيمية رحمه الله: «فالتزكية وإن كان أصلها النماء والبركة وزيادة الخير، فإنها تحصل بإزالة الشر والطهارة. وقد جاء معنى التزكية التطهير»<sup>(١)</sup>.

- **المستوى الرابع:** التعليم والبناء المعرفي، وغاية ذلك تحقيق العبودية لله وحده قولاً وعملاً: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٢٩]<sup>(٢)</sup>.

وإن «المتأمل في الآيات السابقات يجدها تدور حول معانٍ للتربية وتتركز على مهام تعليمية وتربوية وتهذيبية وتحويلية، وأولها تلاوة القرآن الكريم، تلاوة تدبر

---

(١) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم، "مجموع الفتاوى"، مرجع سابق (١٠/٩٧).  
(٢) الشهري، عزه عابس (٢٠١٥م)، "مبادئ التربية النفسية في القرآن الكريم وتطبيقاتها المعاصرة"، رسالة دكتوراه من قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، (ص: ٢٩-٣١).

وفهم ووعي وعمل وتزكية الأنفس وتنقيتها وتطهيرها، ثم تعليمهم ما لم يكونوا يعلمون من قبل»<sup>(١)</sup>.

وفي ضوء ما سبق يمكن تعريف البناء التربوي بأنه: منظومة تربوية تتشكل من جملة الممارسات التربوية العملية التي تتخلل النظم التعليمية ومحاضن الرعاية والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بخلفيتها العلمية الفكرية والمعرفية والتي ترجع في التربية الإسلامية إلى الكتاب والسنة وما تفرع عنها من تراث إسلامي.

ويفرق التربويون بين الفكر والمعرفة في مستويات مختلفة، وحسب المجال والغرض البحثي، وسنعرض في هذه الدراسة لتعريفها بما يتضح الفرق بين المفهومين بما يخدم سياق الدراسة.

### مفهوم الفكر:

تعريف الفكر لغة: يقول ابن منظور: «والفكر: إعمال الخاطر في الشيء؛ قال سيويه: ولا يجمع الفكر ولا العلم ولا النظر، قال: وجمعه أفكارا. والفكرة: كالفكر وقد فكر في الشيء وأفكر فيه وتفكر بمعنى. ورجل فكير، مثال فسيق، وفكير: كثير الفكر؛ الأخيرة عن كراع. الليث: التفكر اسم التفكير. ومن العرب من يقول: الفكر الفكرة، والفكرى على فعلى اسم، وهي قليلة. الجوهرى: التفكر التأمل، والاسم الفكر والفكرة»<sup>(٢)</sup>.

ويقول الراغب الأصفهاني: «الفكرة قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر جولان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب»<sup>(٣)</sup>.

(١) علي، سعيد إسماعيل وآخرون (٢٠٠٨ م) مرجع سابق (ص: ١٩).

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل، (١٤١٤ هـ)، لسان العرب، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، لبنان. (٥/٦٥).

(٣) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، (١٤١٢ هـ) "المفردات في غريب القرآن"، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، نشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق، سوريا، بيروت، لبنان. (ص: ٦٤٣).



## تعريف الفكر اصطلاحاً:

من تعاريفه الاصطلاحية التي تحلّي الفرق بينه وبين (المعرفة)، هو: «ضربٌ من البحث في الصلة بين الواقع الثقافي والمنهج. والواقع الثقافي هو مظاهرٌ ممارساتِ الناس المتعلقة بالدين والعادات والآداب والفنون والسياسات. والفكر بالتحديد: محاولةٌ صياغة رؤيةٍ للواقع الثقافي، تصوراً وحكماً وتغييراً، من خلال منهج معين، فيستعمل المنهج لصياغة وتحليل المفاهيم، ثم لصناعة النماذج التي يتم التعامل مع الواقع على أساسها»<sup>(١)</sup>.

ويهمنا تعريف الفكر من منظور إسلامي حيث «يمكن أن يعرف الفكر الإسلامي في ضوء الخصائص الآتية:

- الجمع بين عمل الفكر كأداة وبين ما ينتجه الفكر من ثمرة للتفكير.
- أن ينصب الفكر الإسلامي على الناحية النظرية دون العملية.
- أن يعرف الفكر الإسلامي بأنه فكرٌ موجه أو بعبارة أنسب: ملتزم ولكن في ضوء تعاليم الإسلام فلا يتوافر الفكر في ظل الإسلام على الخوض فيما نهى عنه الشارع ولا يتحرر من الضوابط الشرعية والأخلاقية، ولا يدخل فيما ثبت عن الله وعن رسوله ﷺ وما أجمعت عليه الأمة وإنما يدافع عن ذلك ويظهر حكمة الشارع فيه ويلتمس العلل والمقاصد والبراهين والمسوغات لذلك في الحدود المشروعة بمنهج نقدي مؤصل ينفي ما علق بالفكر الإسلامي من مغالاة المغالين وتفريط المفرطين»<sup>(٢)</sup>.

## تعريف أساس التربية الفكرية إجرائياً:

وفي ضوء ما سبق يعرف أساس التربية الفكرية في الدراسة بشكلٍ أخص بأنه

(١) علوان، علي محمد (٢٠١٤م)، "فلسفة التربية في القرآن الكريم"، مرجع سابق (ص: ٩١-٩٢).

(٢) المرجع السابق (ص: ٩١-٩٢).

عبارةً عن: المرتكز الذي يقوم عليه مجموعة الرؤى والاجتهادات التربوية التي توصل إليها العقل المسلم من خلال اشتغاله على النصوص والأحكام والأدبيات الشرعية والإسلامية، وذلك بغية استيعاب الواقع الموضوعي والارتقاء به وحل مشكلاته.

### مفهوم المعرفة:

### تعريف المعرفة لغة:

جاء عند ابن فارس: «المعرفة والعرفان من العلم بالشيء، يدلُّ على سكون إليه؛ لأنَّ من أنكر شيئاً توخَّش منه ونبا عنه»<sup>(١)</sup>.

وعرفها المغربي بأنها: «ذلك الرصيد الذي تم تكوينه من حصيلة البحث العلمي والتفكير والدراسات الميدانية وتطوير المشروعات الابتكارية وغيرها من أشكال الإنتاج الفكري للإنسان عبر الزمان»<sup>(٢)</sup>.

ويمكن تمييز المعرفة من منظور إسلامي بأنها: جملة المعارف والمهارات والقيم التي احتوت عليها مصادر الشريعة الأصلية وما تفرع عنها من تراث فقهي وفكري، وما يمكن توظيفها فكرياً للتعامل مع معارف جديدة تبصر بالسلوكيات المناسبة في مجريات الحياة.

### تعريف الأساس المعرفي إجرائياً:

المرتكز النظري الذي يقوم عليه تمييز ما ينتمي من معارف ومهارات وقيم إلى البناء التربوي بشقيه النظري والتطبيقي وما لا ينتمي وفي ضوء مصادر الشريعة الأصلية وما تفرع عنها من تراث فقهي وفكري وما يمكن توظيفها فكرياً للتعامل مع معارف جديدة.

(١) ابن فارس، أبو الحسين الرازي (١٣٩٩هـ)، "معجم مقاييس اللغة"، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، مصر (٤/٢٨١).

(٢) المغربي، عبد الحميد، (٢٠٠٢م) "نظم المعلومات الإدارية"، جامعة المنصورة، المكتبة العصرية للطباعة والتوزيع، مصر، (ص: ١٨٢).

## العلاقة بين الفكر والمعرفة:

الفكر هو الوسيلة والآلة التحويلية للمعرفة، والمعرفة تأتي حصيلة التفكير وإعمال الفكر، فالمعرفة تنمو وتتراكم بالفكر، وبعبارة منحنى النظم: المعرفة هي المدخلات مع ما يصاحبها من مشكلات، والتفكير هو نظام التشغيل الذي يتسبب في إدارة وتشغيل تلك المعرفة بما يولد معرفة جديدة تمكن من حل المشكلات أو تطوير المعرفة السابقة لمرورها بدورة من التداول المنتج.

وفي ضوء هذا يظهر بينهما خصوص وعموم باعتبار التسمي بها، فقد يكون العالم من أصحاب المعرفة بعلمه يعرف مفرداته، لكنه لا يحسن إعمال فكره في ذلك العلم بحيث ينتج حلاً لمشكلة أو يوظف تلك المعرفة ليولد معرفة جديدة، كأن يستنبط قاعدة أو يقرر تعميماً يشرح علاقة بين مفهومين وغير ذلك.

«وللتفكير دورٌ مهمٌّ في توثيق المعرفة وتحقيقها والتثبت منها، ومن هنا فإنَّ المعرفة والفكر لا غنى لأحدهما عن الآخر، وكلٌّ واحد منهما شرط أساس لاستمرار الآخر ونشاطه وفاعليته، فالتفكير من غير معرفة يأتي بنتائج ضحلة، والمعرفة من غير تفكير معرفة جامدة قيمتها محدودة وضئيلة، والأمة التي لا تعبأ بالمعرفة ولا بالفكر هي أمة غير صالحة للإسهام في الحضارة البشرية وربما تصبح مهتدة»<sup>(١)</sup>.

ومجال التربية هو المجال التطبيقي الأوسع لإعمال الفكر وتوثيق وتوظيف المعرفة وإثرائها وتحويلها إلى صور متنوعة من المحتوى والخبرات والمهارات والممارسات التربوية التي تظهر في صور من الرقي والرشد الإنساني الذي يسدده التنزيل فيهبذه ويدفع عنه آثار القطيعة المعرفية بين الغيب والشهادة، وما تراكت

(١) جرار، صلاح، "المعرفة والفكر"، مقال، تاريخ النشر، الخميس ١٥-١٠-٢٠١٥، موقع من المؤسسة الصحفية الأردنية - الرأي: <http://www.alrai.com/article/٧٤٣١٢١.html>

من معرفة في هذا المضمار في المضامين التربوية في المحاضن التعليمية المنهجية وفي المجتمع.

### المطلب الثاني: خصائص أسس البناء التربوي الفكرية والمعرفية في القرآن

إن الأسس التربوية الفكرية والمعرفية الإسلامية تستمد خصائصها من خصائص النص القرآني في مستوياته المختلفة، لكن قبل أن نتطرق إلى تلك الخصائص نمهد لها بتعيين ما تظهره البحوث المتنوعة في الأسس التربوية وخاصة الفكرية والمعرفية من خصائص تجلي وتميز تلك الأسس، وذلك أن تلك المستويات تعين على تصور مقارب يعين على الوقوف على مظان الحقائق والمفاهيم ومحدداتها العلمية التي تظهرها تلك البحوث، ذلك أن مسألة التأصيل التربوي تحتاج إلى إحاطة واستيعاب تلك المقررات كي تتنوع المدركات التي تعتبرها الأوساط العلمية، فيُعرف موضعها من التأصيل التربوي من منظوره الإسلامي، ومن عمومات القرآن التي يتحرر بها نصوص وقيود تلك الأسس وعبارتها التي تكون في معنى الدليل العام عند التربوي ما لم يتعين معنى خاص جاء به دليل متعين في تلك الممارسة التربوية الإجرائية، وهذا مطلوب باعتبار المعاصرة، فالأسس في منحى معين قد لا يثورها إلا الممارسات التربوية الكثيرة والغالبة، أو ما يظهر من مستجدات عامة في منحى من مناحي التربية، وعليه فالدراسات المختلفة تظهر خصائص متنوعة من زوايا البحث فيها، ويمكن أن تظهر في مجالات الدراسات كالتالي:

فتظهر الدراسات التأصيلية خصائص التكوين والإنشاء ومدى صلابة الأرض التي ترتكز عليها البنية التربوية، والتي تقوم على أسس متينة مترابطة تشكل الأسس الفكرية والمعرفية للحممة والمادة الرابطة التي تتأثر بها بقية الأسس، وتظهر خصائص التميز التي يتميز بها أسس الفكر والمعرفة الإسلامية على غيرها من الأسس في الفلسفات التربوية.

وتظهر تطبيقات هذه الدراسة في تنمية الميولات الإيجابية والاتجاهات عند الرواد نحو حركة التأصيل والتأسيس، وفي تقرير الأساس المعرفي المتعين؛ فإن تولد الدافعية عند المرابي نحو تمثل الأسس التربوية يرجع إلى ما تثمره هذه الدراسات من قناعات وما تقدمه من يقين وما تدفعه من تصورات بديلة وأوهام هي السبب في التواني وضعف الدافعية لدى الرواد والمرين والباحثين، حيث يرجع بعض ذلك إلى عدم الوقوف على ما تثره هذه الدراسات من معارف وحقائق، وما تقدمه من قاعدة انطلاق، ومن ينظر إلى تقرير الفلسفات ودراسة أصولها وما تشكله من مزاج وعرف عام قدّر هذا النوع من الدراسات بل تظهر الحاجة العالمية إلى هادٍ رباني في سَورة الصراع المعاصر الذي تتسارع خطواته نحو النهايات الأليمة التي تتبدى كل يوم في التحديات التي تعكس عمق التيه الفكري التربوي وضعف مخرجاته عمومًا، وهذا تكفله الدراسات التأصيلية.

ومقررات تلك العوائد تتدرج دلائلها من قبل الإسلام وبعده، فبعد الإسلام يظهر القرآن الكريم ومعه بيان النبي صلى الله عليه وسلم، ثم إجماع الأمة، ثم ما وافق فهم أصحابه له ومن تبعهم بإحسان من تراث تربوي، وهكذا تتدرج بينات التأصيل في تسلسل منظومي.

أما الدراسات المقارنة فتظهر خصائص التميز ونقاط الاتفاق والاختلاف مع الأسس التربوية التي غاب فيها عنصر التوحيد الذي تتجلى فيه أهم الفروق الجوهرية التي هي أشبه بردم يأجوج ومأجوج الذي تتولد منه البدائل التصورية - المفاهيم الخاطئة - في الممارسات التربوية.

فهذه الدراسات تظهر الإشكالات من المقارنة، وتظهر أهمية البحوث التي تحلها في منحى تنظيري تأسيسي، والدراسات المقارنة ثرية جدًا يظهر ذلك في نتائج الرسائل العلمية المقارنة، وفي توصياتها التي تنبئ على معاملات بناء الأسس

المعرفية والفكرية، وفي بيان محاسن الآراء التربوية التي لا نص شرعي فيها، وترجع إلى الموازنة والخبرة، فحققت الدراسات المقارنة يمكن من التماس مواطن القوة والعجز، فبدراسة الممارسات التربوية المختلفة في سياق مقارن تظهر الحاجة إلى الانتقاء والتلقيح والترجيح والتخير الذي يعين على تهذيب عبارات التأسيس للبناء التربوي.

وهنا ملاحظة وهي: أن الباحث في مجال البحث المقارن يبحث بفكره الموجه لبيان هدايات القرآن لا على جهة المساواة التي تنبثق من مجازة المزاج العام والشعور بالدونية، بل يبحث الباحث من «موقف المعتز بعقيدته، لأنه عندما يقارنها بغيرها من العقائد والفلسفات يزداد يقيناً بأنها الأسمى، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣]»<sup>(١)</sup>.

فالدراسات المقارنة بهذا الاعتبار تقوي وتعزز الثقة بما في القرآن الكريم من كفاية مرجعية في تأسيس البناء التربوي معرفياً وفكرياً، وتجديد وإصلاح التربية والتعليم من هذا الوجه هو المتعين، لا أن يكون التأسيس بالتلفيق المخل بين النظم التربوية أو اطراح بينات التنزيل وتراث الأمة التربوي والفكري والمعرفي جانبا فهذا يخالف المعنى الصحيح للتأسيس أو الإصلاح المنبت عن أصوله، كما حدث في بعض التجارب الإصلاحية التي امتد أثرها إلى أيامنا هذه، مثل إصلاحات محمد باشا إبان حكمه مصرًا، فالتأسيس «وفعله يؤسس Instituter أي: يقيم نظاماً تعليمياً لم يكن له امتداد أو وجود سابق.. إن تأسيس محمد علي لنظام تعليمي على النمط الغربي والذي اختلف هدفاً وشكلاً ومضموناً ونهجاً عن التعليم الأزهرى، لم يكن عملاً يقصد منه إصلاح هذا التعليم الديني الموروث، فلقد تركه على حاله

(١) حلمي، مصطفى، (٢٠٠٥م) "الإسلام والمذاهب الفلسفية نحو منهج لدراسة الفلسفة"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ص ١٢).

وأسس نظامه الجديد»<sup>(١)</sup>.

وإن الدراسات المقارنة في ضوء الوعي بمعنى التأسيس التربوي السليم يقدم عوائد تربوية نوعية، واليوم العالم يحتاج إلى حالة من المراجعة بين رواد التربية من فقهاء النفوس على المستوى العالمي والدولي كي يعيدوا النظر في البنية التربوية وموضع الأسس المعرفية القيمة من البناء ومدى هشاشتها التي تظهر في تجلياتها العالمية والإقليمية، فالقيم والميولات والاتجاهات تسير تبعاً للفلسفة النفعية دون موارد، وتجري وراء سراب القوة والسيطرة دون وعي تبادلي بما يقدمه الصراع في هذا العصر من عواقب، يقول رائد التربية كريستوفر لوكاس في هذا السياق ما ينبه على مؤشر العوز لهذه المراجعة: «كثيراً ما يتردد القول: إن ما تحتاجه المرحلة الحاضرة من الحياة هو إحساس بالاتجاه والغاية، فالإنسان يجد نفسه في حيرة ويأس بسبب الاضطراب الذي صنعه في حياته فقدان ذات الإنسان، وغربته عن نفسه، وبسبب نمو المعرفة العملية غير المطعمة بالحكمة الأخلاقية، وبسبب ما تبع ذلك من إحساس العبث وعم معنى الحياة»<sup>(٢)</sup>.

فالقرآن الكريم فيه من الهداية ما يحم الأفتدة من كدح الظنون والتخبط في مفازة التجريب فيما لا يجدي فيه إلا الرجوع إلى الخالق الذي هو أدري بما يصلح النفوس وما يهديها به من بينات اليقين الذي يدحض الشك والريب، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

(١) أبو ريان، مجدي الراعي، (٢٠٠٤م)، "آفاق الإصلاح التربوي في مصر"، المؤتمر العلمي السنوي لكلية التربية بالمنصورة بالتعاون مع مركز الدراسات المعرفية بالقاهرة، كلية التربية، جامعة المنصورة، مصر. (ص ٧).

(٢) Christopher J. Lucas OP p. ١٧ يُنظر: الكيلاني، "فلسفة التربية الإسلامية"، مرجع سابق، (ص: ٣٩-٤٠).

أما الدراسات المنهجية فتظهر خصائص الاستقلال النوعي والتي تظهر عادة عند الحديث عن المنهج المدرسي وتحديد الأسس التربوية التي تحدد المعالم المنهجية في السياسات التربوية وبناء الأهداف، أو في مجالات تربوية أخرى، وإن كانت هذه الدراسات تراوح بين المد والجزر المنهجي الغربي، وهي البؤر التطبيقية الساخنة التي تثور شجون التربويين في الحقل التعليمي، ومع هذا فنضج هذه الدراسات كفيلاً بأن تظهر الخصائص المميزة التي تستقل بها التربية وأسسها عموماً والفكرية والمعرفية خصوصاً، والتي ستقدم البحوث التجريبية في أشهر مدرستين تربويتين وهي المدرسة السلوكية والمدرسة المعرفية، وفي مجال الإدارة والجودة الشاملة وسائر الممارسات التربوية؛ لتقدم برنامجها ونموذجها الفرد الذي يعتمد على القرآن كموجه منهجي.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

ومع ذكر معالم الخصائص التي تعزز شخص أسس التربية الفكرية والمعرفية؛ فإن الأسس الفكرية والمعرفية بينهما تلازم منهجي وتأصيلي ومنطقي وترتبي في نسق الخصائص التي تشتق من خصائص القرآن العامة، والتي يمكن تلخيصها في أهم الخصائص كالتالي:

### أولاً: الربانية:

إن ربانية المصدر تتصدر خصائص الأسس الفكرية والمعرفية وسائر الأسس التربوية، وتعد هذه الخصيصة فاصلاً بين أسس التربية التي تبنى على اجتهادات بشرية تجعل الخرافة والوهم هي التربة الرخوة التي تنمو فيها، فتعود بالخير رغم الرفاه وحسن الارتفاق الذي ينعم به الجسم؛ لكن الروح في غربة داخل الجسد.

فالأسس الفكرية والمعرفية ربانية باعتبار مصدرها وغاياتها الشريفة التي تثمر



صلاً وخيراً تستمده من مربيها وباريها، ومن هو أعلم بخوافيها وما يصلحها. قال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النجم: ٣٢]، وهذه الربانية تصبغ المعارف بالمصداقية وبنيات الفكر بالتسديد والرشد، ومن يعقد مقارنة سريعة بين ما هو بشري وما هو سماوي في التصورات والتصديقات في أسسها المعرفية العامة وسبل توظيفها ومناهجها الفكرية؛ يجد الفرق واضحاً، فالفلسفات القديمة والمعاصرة والمثل المحرفة قد تصيب اتفاقاً، وخطؤها أكثر من صوابها في باب علوم الغيب، فالرعي بالغيب من مكان بعيد واتباع الظنون هو الغالب، وهذا الفرق هو ما برر للعلمانيين التنكر للكنيسة والتبرم من تتابع سلطتها الجائرة وخرافتها في تفسير الظواهر لما جرى على كتابها- الإنجيل- من تحريف حتى عييت الكنيسة بإقناع المنظمين لها وذوو السلطان فيها لما رأوا عجزهم الحقيقي، وأما الإسلام فقدم النقل مشفوعاً بالعقل والمقدمات العادية والعرفية الشاهدة التي تفسر الظواهر الكونية وتجب عن أسئلة متعلقة بالتصورات والمعرفة اللازمة لها، واعتمدت صراح الدلائل العقلية والنقلية التي تثمر اليقين، فمن رام غير ذلك من المعارف والمناهج فإنما بنى على شفا جرف هار، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَعْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨]، ويقول تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ويقول تعالى: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ [يوسف: ٨١].

إن تمثل هذه الخاصية تؤثر بقوة في تنمية الميولات والاتجاهات الايجابية وتعزيز القيم، حيث إن تطبيقات هذه الخاصية في البناء التربوي منتشرة ومطردة في الحضور والشهود الذهني والواقعي، فهي تولد الدافعية عند الرواد وعند المعلمين والمعلمين في مبادأتهم واستقبالهم للمعارف وتوظيفها وبلورتها إلى ممارسات يمكن تقويمها في السلوك وملاحظة آثارها في المخرجات، فما أقره القرآن من حقائق

معرفية وأساليب فكرية فمرجعيتها ربانية لا شك فيها، فبناء القواعد والنظريات والأسس المعرفية يستمد قوته من الثقة بمرجعيتها الربانية وجدوى أساليبه وطرق استدلاله وترتيب النظر في تلك المعارف فكرياً يرجع إلى الوثوق بصدق قائله وحكمته عز وجل، وهذه الوثوقية ترسخ الاتباع وتقرر أسبابه، قال تعالى في خطاب المشركين في تخرصهم: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يونس: ٣٥-٣٦]، قال ابن جرير في تفسير هذه الآية: «﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ الذين تدعون من دون الله، وذلك آهتهم وأوثانهم، ﴿مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ يقول: من يرشد ضالاً من ضلالته إلى قصد السبيل، ويسدد جائراً عن الهدى إلى واضح الطريق المستقيم؛ فإنهم لا يقدر أن يدعوا أن آهتهم وأوثانهم ترشد ضالاً أو تهدي حائراً»<sup>(١)</sup>. وقال الرازي: «فنفي ربوبية تلك الأشياء من حيث إنها لا تهدي، وأوجب ربوبية نفسه من حيث إنه سبحانه وتعالى يهدي، فلو كان سبحانه وتعالى يضل عن الحق لكان قد ساواهم في الضلال، وفيما لأجله نهى عن اتباعهم، بل كان قد أربى عليهم، لأن الأوثان كما أنها لا تهدي فهي لا تضل، وهو سبحانه وتعالى مع أنه إله يهدي فهو يضل»<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: يسر اشتقاق تلك الأسس وتمثلها والتفريع عليها.

إن هذه الخصيصة من أهم ما يتصدر الخصائص في الجانب التأصيلي؛ حيث إن عملية استنباط تلك الأسس ليس بالأمر العسر الذي يقف دون تمثلك الأسس

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (١٤٢٠هـ)، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشر: مؤسسة الرسالة، (١٥/٨٧).

(٢) الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر (١٤٢٠هـ)، "مفاتيح الغيب"، نشر: دار إحياء التراث العربي، ط ٣، بيروت، لبنان، (٢/٣٦٧).

والبناء عليها في التربية، فالقرآن في تناوله للقضايا التربوية الفكرية والمعرفية واضح ليس فيه إغاز أو تعجيز، فهو ميسر للفهم والحفظ والعمل.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧] ، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم: ٩٧] ، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: ٥٨]، فليست ألفاظ القرآن الكريم تتمات أو حكاية أصوات، بل كلمات تامات، وليس فيما يدعو إليه القرآن من معرفة ما لا يفهم وإن وجد، فقد بين تعالى وذلّل السبل أمامه بالمقدمات النظرية التي توصل إلى العلم الضروري التي تشهد بربوبيته، وهذه الخاصية غاية في الأهمية، وفرق بين ما تدعو إليه الفلسفات الأرضية من محالات فكرية، وما يدعو إليه القرآن الكريم في مستوياته العليا من محارات يمكن قرح زند العقل للتبصر بها والوصول إلى ما يدفع الحيرة ويمكن من برد اليقين، وقد نبه شيخ الإسلام ابن تيمية في سياق الحديث عن القول بالاتحاد في مسألة صلب المسيح على هذا المعنى، حيث قال: «إنه يجب الفرق بين ما يعلم العقل بطلانه وامتناعه وبين ما يعجز العقل عن تصوره ومعرفته، فالأول من محالات العقول، والثاني من محارات العقول، والرسول يخبرون بالثاني»<sup>(١)</sup>.

وهذه الخاصية تنبه على يسر اكتشاف الأسس المعرفية والفكرية التربوية للبناء التربوي في القرآن، وعلى البناء عليها واكتشاف تطبيقاتها، سواء في الجانب السنني الكوني التصوري أو في جانب الأمر والنهي والطلب في الجانب المعرفي أو الفكري وكيفية ترتيب الحجج والفروض والاستدلال والمبرهنات المنطقية وغيرها، وفي

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (١٤١٩هـ)، "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح"، تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، نشر: دار العاصمة، ط ٢، المملكة العربية السعودية، (٤/ ٣٩١).

ضوء ما ورد في القرآن من تراكيب ونصوص معبرة عن ذلك، وهذه الخاصية لها تطبيقاتها المنتشرة في الجانب المعرفي والفكري من الممارسات التربوية، فتقريب المعارف وتيسيرها بأساليب وطرق التدريس التربوية أمر مقرر بالقرآن ويهدي النبي ﷺ في تأوله لذلك، وما جاء في القرآن من قصص وحوارات وحجج مليئة بمقررات الأسس الفكرية ومساراتها السهلة التي تظهر بأدنى مقارنة بالفلسفات الوضعية، وما تقدمه من محالات فلسفية ذهنية فكرية لا يشهد لها عقل ولا يمكن تمثلها في الأعيان، ويظهر عوارها في الممارسات -مثلاً- التي تعكس تصورها عن الإنسان وطبيعته، هل هي شريرة -كالمثالية<sup>(١)</sup>، أو لا خيرة ولا شريرة -كالبرجماتية<sup>(٢)</sup>، أو يجتمع فيها الأمرين ويتوقف على ما يربى عليه من خير أو شر، وهذا المنطلق الفكري يترتب عليه تطبيقات في جانب العقاب التربوي والفروق الفردية ورعايتها وغير ذلك، ولذلك قست الفلسفة المثالية وعسرت في أساليب العقاب والتفريق الطبقي بين الناس بناءً على تقسيمهم إلى صفوة وقطيع، وغير ذلك من الممارسات، وتركت البرجماتية الحبل على الغارب، وحسب بوصلة المنفعة التي هي انعكاس لزغل الأسس المعرفية والفكرية، والتي لا يراها المربون من

(١) المثالية: مذهب فلسفي ينكر حقيقة ذاتية الأشياء المتميزة من (أنا) ولا يقبل منها إلا الفكر، وهو مذهب

يقابل الواقعية بوجه عام. معجم اللغة العربية المعاصرة، مرجع سابق (٣/٢٠٦٨).

ومن هنا كان للنظرية المثالية قسوة شديدة في الأخذ بالعقاب كأسلوب تربوي إذ أن العقل عندهم لا يستقيم إلا مع قمع نشاط الجسم وهذا لا يتم إلا بالعقاب البدني لإشعار الطفل بالعجز تجاه الخطأ أو بالعقاب النفسي لإشعار الطفل بالإثم والذنب تجاه المخالفة. ينظر: روضة، خالد (٢٠١٢م)، "الرؤية الإسلامية للعقاب التربوي مقارنة بالرؤية الغربية"، منشور على الشبكة على الرابط:

<http://www.almoslim.net/node/163453>

(٢) عند البرجماتية: الطبيعة فهي في حد ذاتها ليست خيرة ولا شريرة. يُنظر: العسكري، كفاح، البياتي، فاطمة

(٢٠٠٥م)، "الخير والشر في الطبيعة الإنسانية من منظور الفلسفات التربوية"، مجلة كلية التربية،

الاصدار السادس، الجامعة المستنصرية، العراق، (ص٢٥٦).

المسلمين ممن تكلموا عن ذلك تفقهاً على أصول الشريعة، كابن جماعة والخازرجي وابن عبد البر وغيرهم، فهم يعلمون أن باري الخلق أعلم بما يصلحهم ويربهم، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المالك: ١٤]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، فالإسلام في تربية الإنسان أمر بـ: «دعم الخير الذي هو أصيل فيه، ونزع الشر الذي هو طارئ عليه، كما يدعو إلى بناء المجتمع القوي على أسس الحق والتقوى والفضيلة والخير، ولكن الأفراد ليسوا بمعزل دائماً عن الغواية»<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: الشمول والتكامل:

تستوعب الأسس الفكرية والمعرفية الاحتياجيات التربوية التقريرية والإجرائية في المجال الفكري والمعرفي، حيث تجيب تلك الأسس على الأسئلة المحيرة التي شغلت عقول الفلاسفة، والتي امتدت إلى عقول الجيل المسلم لتسبق إليه بتفريخ الأوهام تحت غطاء المسميات الرقراقة، و«تحت تأثير مزاعمه الطنانة بالموضوعية العلمية أن يقنعهم بأن فيه الحق الذي يعلو - بل يناهض - مقررات الإسلام التي وسمها أنصار التقدم المتحمسون بالمحافظة والتأخر»<sup>(٢)</sup>.

فلا يذهب الوهل إلى أن القرآن تكلم عن وسائل العلم بالغيبات وما فيها من خبر فقط، بل استوعب وسائل العلم بالمعارف جميعها وبأهم الوسائل المؤدية إليه من أساليب تفكير وأدواته وصوره وترتيب مراحل النظرية، فما أقره القرآن من

(١) الجرجاوي، زياد بن علي، جدلية الخير والشر في النفس الإنسانية والفكر التربوي الغربي والإسلامي، دراسة مقارنة (ص: ١٥).

[http://www.qou.edu/arabic/researchProgram/researchersPages/ziyad\\_AL\\_Jerjawi/goodAndEvil.pdf](http://www.qou.edu/arabic/researchProgram/researchersPages/ziyad_AL_Jerjawi/goodAndEvil.pdf)

(٢) الفاروقي، إسماعيل راجي، (١٩٨٣م)، "أسلمة المعرفة المبادئ العامة وخطة العمل"، ترجمة عبد الوارث سعيد، دار البحوث العلمية بالكويت، جامعة الكويت، الكويت (ص: ٤).

وسائل العلم النقل من وحي وخبر صادق، وكذا الحواس وتوظيفها في النظر والتفكير والتدبر والاستنتاج والعقل وما يستقبحه أو يحسنه مشفوعاً بالنقل وزمامه، وكذا أقر خبرة الخبراء وأمر بسؤال الخبير وما يقضي به من معرفة خاصة، وهذه تُعد مقدمات تخدم الفكر وبلورة تلك المعارف إلى قواعد وتراكيب وتوظيفها واستدعاءها في مظانها.

والفكر التجزيئي ذمه القرآن وكذلك التفكير الخطي، وهذا من التطبيقات النظرية لهذه الخاصية، حيث إن هذا ينعكس على التصور والعمل والممارسة، قال تعالى في النهي عن تعضية القرآن: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ۗ فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۗ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۗ﴾ [الحجر: ٩١-٩٣]، وقال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۗ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۗ﴾ [البقرة: ٨٥]، وقال في النهي عن اتباع مسار واحد دون النظر في شواهد القرائن وربط الدلائل ببعضها وما تقضي به من برهان: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ۗ ﴿٢٣﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ۗ﴾ [الزخرف: ٢٢-٢٣].

وكتاب الله تعالى في هذا السياق يصدق بعضه بعضاً ويشهد بعضه لبعض ولا تناقض فيه، وهذا يترتب على القول بتكامله وشموله في معالجة القضايا، فمتشابهه يرد إلى محكمه، وهذا مما يقرر أسس البناء التربوي، ويأخذ بعضه برقاب بعض، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ۗ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۗ﴾ [آل عمران: ٧]، جاء في تفسير هذه الآية: «ثنا محمد بن إسحاق ﴿كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، قال: فردوا

المتشابه على المحكم، وقالوا: كل من عند ربنا، فكيف يكون فيه اختلاف، وإنما جاء يصدق بعضه بعضاً»<sup>(١)</sup>.

ومن مضامين هذه الخبيصة في الأسس التربوية أن ينصبغ استخلاصها من القرآن الكريم بالنظرة التكاملية المنظومية الشاملة، بحيث تكشف العلاقات التبادلية بين الحقائق، وما تمر به من معالجات فكرية حتى تنتهي بالمخرج التربوي المعرفي أو المهاري أو القيمي، فالقيم والمهارات تدخل فيها المعارف وأسسها، ومثل ذلك في الأسس الفكرية، فينظر في الحجج والبراهين وترتيبها في القرآن وخصائصها ووسائل العلم بها، وبصورة تراعي العلاقات التبادلية بين العقل والنقل ومستويات المناقشة والترجيح، ثم تحويلها إلى معرفة إجرائية تطبيقية، ويضاف إلى ذلك محاولة اكتشاف العلاقات التبادلية بين أنواع الأسس، وما ثمره، فأسس علم النفس التربوي لها علاقة وطيدة ببقية الأسس، وكذلك أسس علم الاجتماع التربوي وغيرها من الأسس التي تشكل شبكة صلبة من الجسور المعرفية التي تعكس الفهم المنظومي التكاملية لمكونات البناء التربوي الذي يظهر فهم القرآن الكريم وبيانه.

### رابعاً: المرونة:

إن من طبيعة الأصول والأسس التشريعية التربوية والفكرية أن تكون صلبة وثابتة لما يتظافر من أدلة شرعية مقررة لتلك الأسس والقواعد، لكن المرونة في ما تركه من مساحة للاجتهد والدراسات التاريخية للفكر والمعرفة عموماً في المجتمع الإسلامي؛ تقرر هذه المرونة بما يظهر في خلاصات البحوث من بيان لمعالم تلك المرونة، ومع هذا فإن هذه المرونة لها معايير وضوابط لا تسمح -وبوضوح- أن

(١) الرازي، ابن أبي حاتم أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، (١٤١٩هـ)، تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، نشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط٣، المملكة العربية السعودية، (٢/٦٠١).

تداري وتجاري فيما فيه مسخ المثل التشريعي الإسلامي في الجانب التربوي، حتى وإن ساء بعض الأتباع تكتيكا أو مجازاة، ففضية إحلال الأسس التربوية الفكرية والمعرفية الغربية والغريبة عن الرؤية الإسلامية محل الأسس المشتقة من الشريعة وتمكينها من عقول النشء كلية مرفوضة في ضوء ما تقضي به الأصول الشرعية وما يقرره أهل الاختصاص.

ولذلك حذر المولى تعالى عن الركون إلى الأفكار وما يتبدى من بدائع العقول التي تصدر عن بني ذلك على أصله المخالف لما عليه الشريعة الخاتمة، فقال تعالى محذرا نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۖ﴾ [٧٤-٧٥]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَطْعَمُ الْمُكَذِّبِينَ ۗ﴾ [٨-١٠]، إلا أن هذا لا يعني أن هناك فسحة في التخيير المستقيم الذي يقوم على فهم الشريعة وفقه تطبيقها، فالأسس والقواعد يستأنس بها لكن يبقى لها شواذ وأفراد لا تستوعبها مطلقا، وهذه طبيعة التعيد والتأصيل، حيث إن تلك الأصول تقدم موجبات عامة ومؤشرات تعين على ضبط الفكر وتسيير وتيسير الممارسات في القنوات المختلفة للعمل التربوي ابتداءً من أعلى هرم العمومات في السياسات التربوية العامة، إلى قاعة الفصل والممارسات في الموقف التعليمي، فمن خصائص المعرفة الاجتماعية التربوية عموماً المرونة وكثرة المتغيرات التي تتخلل المواقف التربوية والإجراءات التطبيقية، وهذا ينبغي أن يراعى في عملية التأصيل نفيًا وإثباتًا إقدامًا وإحجامًا.

فالفروق الفردية بين المعلمين وتنوع الفئات العمرية والبيئات المختلفة والتحديات المتزامنة وغيرها من الأوصاف هي من القضايا التي تحتاج إلى الوعي التام بهذه الخاصية ورعايتها دون ترخص وتخلص أو تشدد وتعنت، فالحق وسط بين طرفين في الممارسات التربوية واعتبار منطلقها المعرفي أو الفكري.



### خامساً: الوسطية:

إن من سمات هذه الأمة أنها كما أخبر الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وهذه الوسطية انسحبت على سائر الممارسات التربوية الفكرية والمعرفية، «وتشير بعض الدراسات التربوية أنه كلما كانت مُدخلات العملية التربوية تتصف بالاعتدال، وبالتالي عملياتها التربوية متزنة، كانت مخرجاتها التعليمية تميل إلى الاعتدال والخيرية»<sup>(١)</sup>، والوسطية في الأسس التربوية تستمد استمرارها من فهم وفقه الشريعة وكفاءته في التعامل مع المستجدات، فليس الفكر معزولاً عن الفقه، وليس بديلاً عنه، بل يسير في ظلاله ويستمد منه قوته وبصيرته.

وإن المعرفة تحددها جملة من الأطراف الاعتبارية التي ينبغي أن يراعيها من يستخلص الأسس المعرفية والفكرية للبناء التربوي وبين كل طرفين ففي جانب التجويز تحد المعرفة بالممكن والمستحيل وهذا منضبط في القرآن الكريم بين غيب مطلق مما لم يظهره عز وجل لعباده وغيب نسبي يتناول بالأسباب، وبين علم ضروري يقع بالحواس، وبين تلك الرتب تقع التحديات الفكرية والمعرفية التي تحير فيها العقول يجعل الله تعالى فيها فرقاً لمن بحث وسدد نظره بالبينات من القرآن والسنة وغيرها من وسائل العلم الشارحة، فالوسط والحق في هذا الباب لا يتجاوز الأطراف المذكورة، وفي جانب الفكر وتوظيف المعارف نجد أيضاً أن له محددات تتعلق بالوسائل وبالغايات وبالترتيب المرحلي لترتيب المعرفة، بحيث يسهل الاستنتاج وتوليد المعرفة التطبيقية التي هي مطلب التربية عموماً، فوسائل

(١) قاسم، أحمد، (٢٠١٢م)، "إنسانية التربية الإسلامية ودلالاتها التربوية"، أطروحة دكتوراه، كلية الشريعة، جامعة اليرموك. الأردن.

- القيسي، دعاء (٢٠١٢م)، "دور مؤسسات التربية الإسلامية في علاج الفراغ الفكري"، رسالة ماجستير، كلية الشريعة، جامعة اليرموك. الأردن.

العلم من تكهن أو تخييل أو توهم أو سحر أو دعوى التحديث أو الإلهام أو غيره من وسائل العلم المنهي عنها في الشرع تسوق الفكر إلى الشطح والخروج عن الأعراف الأكاديمية والتربوية عموماً.

ومن مضامين وتطبيقات هذه الخصيصة التربوية: عدم الجنوح والعدائية تجاه المجهولات؛ بل توظيف الفكر في معرفة الأسباب التي وراء الظواهر، حتى تقلل من فرص الجزاف المعرفي والعلمي في الأحكام، وهذا ما ينبغي أن يصاغ كأهداف مجالية في العلوم الاجتماعية في مراحل التعليم المختلفة، حتى يقل العنف وأسبابه وحسب قدرة الطالب وفتته العمرية.

وفي جانب القيم والأخلاق يظهر الفرق بين الرجوع إلى الكتاب العزيز في بيان الوسطية وأسسها المعرفية والفكرية وبين الظنون الفلسفية وما تصيب فيه وما تخطئ، حيث يؤسس أرسطو أصلاً فكرياً نظرياً في ضبط الوسط في الأخلاق، فيستعير الميزان الهندسي والحسابي لضبط القيم الخلقية، فيقول: «إن الوسط بالنسبة إلى شيء ما، هو النقطة التي على بعدين متساويين من كلا الطرفين، والتي هي واحدة بعينها في كل الأحوال، أما بالإضافة إلى الإنسان فالوسط هو الذي لا يعاب، لا بالإفراط ولا بالتفريط»<sup>(١)</sup>.

وهذا الأساس على مقارنته الفلسفية إلا أن القرآن وما بينه النبي ﷺ وهو من تتم مكارم الأخلاق، لا يرى هذا الميزان بل يرى سباقاً نحو الفضيلة، يضبطه حب الرتب العلية، وإن ظهر في فلسفة اليونان أنه ضعف أو قصور أو إسراف أو غيره، قال علال الفاسي في نقد ذلك: «واعتبار الخلق أو الفضيلة وسطاً بين طرفي الإفراط والتفريط، ليس قاعدة إسلامية مسلمة، وإنما هي نوع من التحليل اليوناني لفلسفة

(١) أرسطو، (١٩٣٤م) "علم الأخلاق"، ترجمة أحمد لطفي السيد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة مصر (٢٧٥-٢٥٠/١).

الأخلاق اقتبسه بعض الأخلاقيين الإسلاميين؛ لأنه أقرب إلى ما يوضح فكرة الآداب العامة عند المسلمين، وليس في الإسلام ما يجعل التجاوز والسمو في الخلق مذموماً؛ فالمؤمنون درجات، كل يعمل على أن يرتقي في معارج السالكين إلى أن يصل إلى أعلى درجات اليقين المحبة، وهم يقولون: إن الولاية لله لا تحد مراتبها، وكل يعمل للوصول إلى أسمى منازلها دون أن ينال ذلك، والكمال لا نهاية له»<sup>(١)</sup>.

ويقول العقاد: «ومذهب الفلسفة اليونانية ينتهي بنا إلى مقياس للأخلاق شبيه بمقاييس الهندسة والحساب؛ بعيداً عن تقدير العوامل النفسية والقيم الروحية؛ في الأخلاق العليا على التخصيص، وقد تصدق هذه الفلسفة إذا كان المطلوب من الإنسان أن يختار بين رذيلتين محقتين، فإنه في هذه الحالة يحسن الاختيار بين طرفين متقابلين كلاهما مذموم ومتروك، إلا أننا لا نقول مع ذلك عن الكرم: نقص في رذيلة البخل أو نقص في رذيلة السرف، ولا نقول مع ذلك: إن الكرم إذا زاد أصبح مسرفاً، وإن السرف إذا نقص أصبح كرمًا، بل تكون الزيادة في الكرم كرمًا كبيرًا، والنقص في السرف سرفًا قليلاً ولا يكون الكرم أبداً درجة من درجات السرف، ولا البخل درجة من درجات الكرم، بل هي أخلاق متباينة في القيمة، يتقارب الطرفان فيها أحدهما من الآخر؛ ولا يتقارب الطرف من الوسط كما يظهر من قياس الهندسة أو قياس الحساب»<sup>(٢)</sup>.

وهذا التأسيس يقرره القرآن أحسن تقرير، فكثيراً ما يندب إلى معالي الأمور من كرم وعفو وإحسان وتواضع وشجاعة وعفة وغيرها من المكارم التي تنطلق من الاعتبار السابق، وفي فهم الصحابة له وتطبيقاته في حياتهم وما ضربوه من أمثلة

(١) الفاسي، علال، (١٩٦٣م) "مقاصد الشريعة ومكارمها"، نشر مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، المغرب، (ص: ٤٥-٤٦).

(٢) العقاد، عباس محمود، (٢٠٠٥م) "حقائق الإسلام وأباطيل خصومه" ط ٤، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (ص: ٢٠٥).

ينبه على الأساس الفكري المحكم في مثل هذه الظواهر والممارسات التربوية.

### سادساً: الواقعية والعالمية:

وهذا يعني قابلية الأسس التربوية الفكرية والمعرفية للتداول العالمي والتطبيق وتعميم كلياتها، فالخصائص والأسس السابقة من شمول وكمال ويسر ومرونة وغيرها من الخصائص تتظافر لتقرر عالمية الأسس الفكرية والمعرفية في البناء التربوي، فأساليب الخطاب التي جاءت في القرآن وما جاء في هدي النبي صلى الله عليه وسلم وفتاواه - كترجمان للقرآن - من مراعاة لتنوع البيئات والأحوال وما تغطيه من تربية ذات بعد فكري ومعرفي يعكس تلك الخصائص، وكذا شمول المجالات الفقهية وما وُفي به الفقه من حاجات تشريعية تربوية فكرية ومعرفية في بلدان متباينة الطباع ومختلفة الأعراق والألسن؛ ما يثبت هذه الخصيصة الفريدة التي تميزت بها التربية الإسلامية عن غيره من أنواع التربيات الإقليمية التي كانت لا تجاوز المدينة أو الإقليم أو الطائفة.

ثم إن تلك الممارسات التربوية كانت تنطلق من أسس معرفية وفكرية تسد حاجات واقعية لا مجرد تنظير ورياضات وخطرات نفسية تعزل صاحبها عن الواقع في طقوس لا تلتقي مع الواقع، وفي علم أسباب النزول والآيات التي نزلت لتسد حاجات تشريعية معينة تدل على خصيصة ما تقرره من عمومات معرفية أو فكرية، فالقرآن الكريم جاء للعالم والآخرى وما فيها من ضرورات وحاجات وتكميلات، وعلى أن تسوق مطالب الدنيا إلى خير مطالب الآخرة، وهذا ينسحب على من يتمثل تلك الممارسات وتطبيقها، و«أن التربية الإسلامية تؤتي أثرها إذا أحس المتعلم أنه يتصل بمطلب من مطالب نموه: الجسمي أو العقلي أو الاجتماعي أو العاطفي، فإذا لم يتناول حاجة من حاجاته كأن يعالج ناحية غريزية تضطرم في أعماقه أو يجيب عن سؤال حول فكرة تحيره، أو يتناول جانباً يهمه، أو يعالج مشكلة

اجتماعية تؤرقه؛ لم يتلقه تلقي من يشعر أن له وظيفة أساسية، وماسه في حياته»<sup>(١)</sup>.  
واليوم تمس الحاجة إلى الوقوف على هذه الخصيصة المركبة وغيرها من الخصائص لما تبدى من تطبيقات حديثة تتجدد دائماً بتجدد المعرفة وإشكالاتها التربوية التي تحتاج كذلك إلى فكر تربوي ينطلق من أسس متينة فقضايا تعدد الثقافات والثقافات العبرة للقارات ويقابلها مشاكل الجريمة التي تتسلل معها والصراع الفكري ومستجدات الأوضاع كلها تعد قضايا مطروحة على طاولة الفكر التربوي لتقديم الاستراتيجيات المعرفية والفكرية طويلة الأمد والتي تقوم على الوعي بهذه الخصيصة التي يقررها القرآن بصور كثيرة من التعزيزات البيانية الطلية والخبرية ويضع أسسها ومعالمها والتي في دورها الوظيفي لا تخرج ولا تتنازل عن القضية العالمية للرسالة، وهي قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ، فقضايا التعايش والتربية على قيمها وقضايا تنافس التعاون وما يستجد من المعارف المتنوعة في الحقول المختلفة والتي تصنف ضمن المعارف الخطيرة التي ينبغي أن يكون للفكر التربوي رأيه الخاص الذي ينطلق من الأسس ذات الصبغة العالمية والتي تشارك المعارف شراكة عالمية كذلك ووفق أسس راسخة لا تغيرها الظروف إذا تعلق بالضرورات وبالقطعي والمتين من بينات التنزيل..



(١) أحمد، محمد عبد القادر، (١٩٩٠م) "انتقادات موجهة لمناهج التربية الإسلامية في الدول العربية"، مجلة التربية، (٩٣ع)، السنة العشرون، قطر، (ص ١٧٤).

## المبحث الثاني

### استخراج الأسس التربوية من القرآن

إن عملية تلمس الأسس التربوية الفكرية والمعرفية في التراث العلمي والفكري الإسلامي مهارة استنباطية؛ تبرز معالم تلك الأسس وفي طبقاتها ومستوياتها المختلفة التي تستوعب كامل أسس البناء التربوي، حتى يقع الباحث على الروابط والعلاقات التبادلية التي كونت تلك الأسس.

وإن محاولة تتبع للأسس الفكرية والمعرفية<sup>(١)</sup> للبناء التربوي في القرآن؛ يحتاج إلى قدح زناد الفكر وإعمال مناقيش الاستنباط في هذا التتبع، وهذا يعني أن نخترل مفردات الأسس الفكرية والمعرفية وإن كانت مستقلة في عناصرها وغاياتها، وذلك ببناء نموذج يستوعب تلك المفردات وعلاقاتها البينية، ونركز على أهم العلاقات التداولية وفي مستوياتها المختلفة يتصدرها أهم العلاقات، وهذه الآلية هي ألصق ما يكون بالمنهج الإسلامي، حيث تركز على المنحى المنظومي<sup>(٢)</sup> الذي يدعم التفكير المنظومي.

فالتفكير المنظومي الشامل في المتغيرات ظهر في تأليف العلماء التي اعتنت بالصلات بين الكليات والجزئيات وبين الجزئيات ببعضها البعض، فأحد مظاهره علم المقاصد في أصول الفقه وعلم المناسبات في التفسير، وكذلك ظهر في ربط

(١) يُنظر: المطلب الأخير: "أمثلة لأنواع الأسس التربوية الفكرية والمعرفية..".

(٢) يمكن تعريفه في هذا السياق بأنه: "طريقة تحليلية ونظامية للتخطيط تمكنا من التقدم نحو الأهداف التي سبق تحديدها، وذلك بواسطة عمل منضبط ومرتب الأجزاء، بحيث تتألف منها المنظومة كلها وتتكامل وتشابك وتتفاعل تلك الأجزاء وفقاً لوظائفها التي تقوم بها في المنظومة..". يُنظر: شهاب، منى عبد الصبور محمد (٢٠٠٣م) "المدخل المنظومي والبناء المعرفي"، دراسة مقدمة للملتقى الفكري حول المدخل المنظومي في التدريس والتعلم، مركز تطوير تدريس العلوم، جامعة عين شمس، ١٦-١٧ من ديسمبر، (ص:١).

علوم الآلة كالمصطلح وأصول الفقه بعلوم الغاية، وهي الأصول من كتاب وسنة وما يتفرع عنها، وهو ما يظهر النظر الشمولي التكاملي الذي سبق تقريره في خصائص الأسس كنهيه تعالى عن تجزئة الأخذ بالقرآن، قال تعالى في ذم من فعل ذلك: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١].

فمراعاة النظر المنظومي في تلمس أهم الأسس ليس غريباً على المنهج الفكري والفقهية الإسلامي، وهو منحى واضح في تدريس التربية الإسلامية، حيث يذكر (الرملي) «أن الكثير من الباحثين في مجال التربية بشكل عام والتربية الإسلامية بشكل خاص أكدوا على أن المدخل المنظومي في تدريس التربية الإسلامية مدخل حديث من حيث مبناه ومصطلحاته، إلا أنه قديم من حيث معناه ومحتواه»<sup>(١)</sup>.

وآلية التفكير المنظومي كما أنها تعين على الإحاطة الشاملة من منظور كلي، فهي تبنى في الجزئيات على التركيز على أهم الروابط التي تشكل أهمية في التأسيس والإنشاء عليها، حيث يعد ذلك أصلاً من الأصول المعرفية لهذا المدخل<sup>(٢)</sup>، وهو ما ركزت عليه الدراسة الحالية في نمذجة البناء التربوي وأسسها، وما هو مهم منها لقيام البناء التربوي عموماً.

وإن الحاجة إلى مبادأة سريعة تتجاوز مربع الخلاف اللفظي في بعض صورته؛

---

(١) الرملي، إسلام طارق عبد الرحمن، (٢٠١١م) "أثر توظيف المدخل المنظومي في تنمية المفاهيم الفقهية والاتجاه نحوها لدى طالبات الصف الحادي عشر في محافظة غزة"، رسالة ماجستير، كلية التربية في الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، (ص ١٣).

(٢) يقول الكبيسي: "وتزايد الاهتمام بالاتجاه المنظومي في الوطن العربي إذ عقدت ستة مؤتمرات عربية حول المدخل المنظومي في مدينة القاهرة وبعض منها بالتعاون مع الأردن للفترة ما بين (٢٠٠٠م - ٢٠٠٨م)، وبعد هذا التاريخ عقدت عدة مؤتمرات عززت أهمية المدخل المنظومي وتطبيقاته التربوية". يُنظر: الكبيسي، عبد الواحد حميد، (٢٠٠٨م) "أثر استخدام المدخل المنظومي في اكتساب المفاهيم الرياضية والتفكير المنظومي لدى طلبة المرحلة المتوسطة في مادة الرياضيات"، كلية التربية، جامعة الأنبار، العراق، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الأول في المدخل المنظومي، جامعة الزرقاء، الأردن، (ص ٤).

لتحمل شجونه إلى ما بعد عقبة تشييد البناء التربوي، وتوضيح معالمه، والحديث عن أسس ونظريات -ولا مشاحة في الاصطلاح- يستطيع أساتذة التربية ورواد الفكر أن يبلوروا آراءهم وفق أسس واضحة، ويستطيعوا أن يترجموا شعورهم بالرضا عن تلك المخرجات النظرية بالسلاسة في توظيف تلك الأسس، والتعبير عن أي خطوة إجرائية بعبارة مطابقة للواقع، وتصرف في العبارة يعكس وعياً تربوياً أصيلاً، فالتوظيف الصحيح للمعرفة والحكمة أصل في الشريعة الإسلامية.

### المطلب الأول: المعايير العامة في استنباط أسس التربية الفكرية والمعرفية

بعد أن ترشحت الآلية النظرية في تحديد معالم الأسس التربوية الفكرية والمعرفية؛ فتمس الحاجة إلى ترشيح التوجه في إعمال الفكر في استخراج تلك الأسس من القرآن الكريم؛ فإن البحث في التراث الإسلامي وما دخله من علوم تبتتها بعض التصورات وإن كانت لا تنتسب إليه، وذلك مثل التوجه الفلسفي والكلامي والصوفي الفلسفي وغيرها من التوجهات التي لا تنسجم مع خصائص الشريعة ويسرها ويسر مدركاتها وأهم مميزات المنهجية العامة.

فالتجارب التي تمثل التراث التربوي والتي اختلط بعضها بالفلسفة، ثم ما يغلب على من ساهم وقدم من وجهة نظر عامة أو خاصة، فهي عند التحقيق تمثل أصحابها، مع أنها نشأت في الحاضرة والحاضنة التربوية الإسلامية، إلا أن هذه التجارب لا تمتع ولا ينبغي أن تحول دون المصدر الرئيس للتوجه التربوي، وعليه كما يذكر علي في هذا السياق: «ينبغي أن نلتمس العون الأساسي في بناء التربية الإسلامية من دستور الإسلام ومعينه الرئيس وهو القرآن الكريم»<sup>(١)</sup>.

وهذا مطرد في أي استنتاج علمي خاصة في العلوم الاجتماعية والتربوية: «وأن

(١) علي، سعيد إسماعيل (٢٠٠٠م)، "القرآن الكريم رؤية تربوية"، جامعة عين شمس، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر (ص: ١٢).



أي معرفة نتجت من البحث العلمي متأثرة بالفكر والتصورات والانتفاء الأيدلوجي منذ ابتداء حل المشكلة إلى النتائج»<sup>(١)</sup>.

وهذا هو ما ينبه على أهمية الرجوع إلى القرآن والتركيز والتأكيد على أهمية استخراج أهم المكونات لأسس التربية، ومنها: المعرفية والفكرية، ثم تمرير تلك الاجتهادات الفكرية للرواد الذين تأثروا ببعض تلك التوجهات على ذلك النموذج لمعرفة مدى قربها من الأسس المستنبطة من القرآن، ومدى اعتماده على تلك الأسس في ممارساتها التربوية وآرائها النظرية.

ومما يحسن التنبيه عليه هو: أن الفقيه كان لديه الحس التربوي والقدرة على وضع القواعد والأسس التربوية والأخلاقية في مظانها والقيام بعملية التقعيد كان شعورًا منهم بأهميته في وقتهم، وحسب ما يتبدى من أطوار التربية والتعليم، ويظهر هذا في عبارات المتقدمين ويتبلور في عبارات موجهة ومقتضبة في كتابات المتأخرين في منحنى تقريرى تأصيلي، فابن عبد البر والماوردي وابن جماعة والقاسبي وغيرهم لهم في الفكر التربوي سبق مغروف، وهذا ترجمة عن فهمهم للكتاب العزيز والسنة الشريفة المبينة.

«وقد تناول الفقهاء المسائل التربوية ضمن مسائل المعاملات وغيرها من أبواب العلم، وتناول فقهاء المحدثين آداب التربية والتعليم في كتب الشروح الحديثية، وكان لعدد من الفقهاء كتابات تربوية مباشرة متخصصة تشكل جوهر التراث التربوي»<sup>(٢)</sup>.

(١) فهمي، علي، (١٩٩٨م)، العلوم الاجتماعية (الأيدلوجية والواقع) ضمن كتاب: إشكالية العلوم الاجتماعية في الوطن العربي، ط٢، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، مصر (ص: ٢٠٧-٢٠٨).

(٢) علي، سعيد إسماعيل، (١٩٩١م)، "اتجاهات الفكر التربوي الإسلامي"، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر (ص: ٧٢).

إن تقمص رواد التربية لمسلك الفقهاء في التلقي والاستدلال والممارسات الفقهية من أجل تقرير الأحكام والنظر التكاملي الشامل في معالجة المسائل التي لا نص فيها، والرجوع إلى الموازنة بين المصالح والمفاسد وإلى صور معالجة التعارض بين الأدلة أو النقص في العلل، وكيف يحسنون التخلص من المعارض بصور الترجيح والمقاربة الفقهية؛ كل ذلك يعزز ملكة التربوي في إعمال فكره في ما يعن له من المشاكل التربوية التي تعرض له في التأسيس والتنظير، وتفتح أمامه باباً من الفرص والبدائل، ومن طيف المعارف التي تعينه على انتظام الأسس المعرفية والفكرية للبناء التربوي من عمومات القرآن الكريم ومن خصوصه، وبصورة تبعث الثقة وتعزز التخير الذي أمر الله تعالى به، واتباع أحسن ما أنزل، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨].

والقرآن في بيانه وتقريبه للمفاهيم والمثل والقيم والمعارف عموماً يأتي بما هو أهدى وأحسن بياناً وتفسيراً، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣] ، وفيه تبيان كل شيء وتفصيله، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩] ، وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢]، فهذا الوضوح إنما يدرك بإعمال الفكر في آياته طلباً للمفاهيم والحقائق المؤسسة للمعارف ومسالك الفكر والفقه وما تركه العلماء من تراث علمي فقهي تنقطع عنده الأعذار، فلا يبقى لذي كسل في قوسه منزع، وهذه الحفاوة تزيد بمعرفة عوج ما يقدم من مناهج ومسالك نظرية في الاستدلال، وفي استخلاص المعارف اللازمة للخروج من ربقة التبعية التربوية.

### من معوقات التأسيس: التبعية الفكرية:

إن ترشح التوجه الفقهي في استنباط الأسس التربوية من القرآن الكريم إنما هو

لما يحمله من كفاءة ولما يحمله رواد التبعية التربوية والفكرية من ممانعة يجب الوعي بها في مضمار إعادة الإحياء التربوي، وإعادة التأسيس في مستواه العام الذي يستلهم الخطوط العريضة من القرآن الكريم، والتي تتجلى في مستويات التأويل التي تنتهي بالتعطيل، والتي تخالف فيها ما تواطأ عليه العلماء في فهم القرآن ومعهود أهل اللغة، فالاستدلال بالألفاظ على مقاصد قائلها ومعانيها في حالة الأفراد أو التركيب يعتمد على معهود أهل اللغة في الاستدلال على مقاصدهم - كما هو معلوم-، وهذا مطرد عند الشعوب والديانات، وفي أي مجال سواء كان الحديث عن نصوص قانونية أو علمية أو فكرية، حيث يتواضع أهل العلوم والفنون على اصطلاحات يحررونها ويقررونها، كي لا تقع المشاحة في لغة الفن أو المجال العلمي.

وإن ما بذله الفقهاء والأصوليون وما تتبّعه أهل اللسان من غريب وما دونه من قواميس ومعجمات توضع جانباً عندما يمتلك رواد التربية ممن تلقوا أصولاً غير الأصول الإسلامية مذهباً فكرياً أجنبيّاً، فيستخدم منهجه في التأسيس والتأويل والإثبات والنفي، وهذا يظهر في مستويات التعسف في تأويل النصوص الشرعية التي تمليها التبعية وما يدفع نحو تكريسها من محركات ذاتية وخارجية تتدرج، كالتالي:

**الصورة الأولى:** تأويل بعض النصوص لما تثيره من حساسية ولما يقضي به التبادر من أوصاف قد تلصق بمن يلتزمها بالمحافظة والرجعية أو التشدد، وإن كانت نصوصاً صريحة قطعية لا يوجد وجه احتمال يشفع لمن تأولها، وهذا المستوى يشترك فيه الكثير، وقد يضطر إليه البعض للقوة الضاغطة التي تحول دون استقلاله.

فوجود أعراف أكاديمية ومهنية تشكل المزاج العام في الأوساط التربوية هو ما

يدفع بقوة نحو فرض مخطط التأسيس والبناء التربوي التلفيقي أو المؤقت الذي يكرس القطيعة بالوحي وبالساوي ويعزز التجريبي والمحسوس المشاهد، ويظهر هذا من بحوث التربية المقارنة ومن حالة الاستخاء التي تحمل على رعاية الجهاز دون قرح زناد الفكر والتنقيب ورعاية الأصالة والإبداع، يقول الزهراني في هذا السياق: «لعل ما يغري مطوري أنظمة التعليم والباحثين في مجال التربية المقارنة، والمهتمين بدراسة نظم التعليم الأجنبي في الأخذ بالتجارب والأفكار الجاهزة، أنها توفير للوقت وترشيد للجهد، وكذلك كونها أسهل في إنجاز البحوث والحصول على الشهادات أو الترقيات، فالأخذ بفكرة أو تجربة تعليمية جاهزة من مجتمع آخر، أسهل من ابتكارها وبنائها من جديد»<sup>(١)</sup>.

مع أن العلوم الإنسانية عمومًا ليست من جنس العلوم البحتة التي تخضع لمعايير قياسية صارمة، بل يظهر فيها المؤشرات العامة في التقييم والتقييم في التأسيس والبناء، فهذا التوجه يحول دون الانتفاع بما يثمره الاستدلال والاستنباط المستقيم من حقائق ومفاهيم وأسس ونظريات في الحقل التربوي، وبسببه نشأ تيار الحدائثة الذي يرى القيام بعملية استبطان للنصوص بحيث تنسجم مع المزاج التربوي العام وبنكهة إسلامية، فتلغي قداسة النص وما جاء من جادة الفهم والفقهاء ولسان العرب الذي جرت به عادة القوم في فهم خطاب ربهم، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، وجاء النهي عن اتباع الأهواء في فهمه والوفاء بأمره، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧]، وذكر تعالى أن

(١) البيهقي، عبد الله زايد (١٤٢٧هـ)، "التوجيه الإسلامي لمنهجية البحث التربوي المعاصر"، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، (ص١٤٨). ويُنظر: الزهراني، صالح يحيى، (٢٠١٢م) "منطلقات دراسة التربية المقارنة وضوابطها في ضوء التربية الإسلامية"، قسم أصول التربية، كلية التربية، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المملكة العربية السعودية.

القرآن فيه الخير كله، وجاء بلسان عربي مبين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَنْقُورُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزمر: ٢٧-٢٨].

فالانفتاح المعرفي غير المنظم قلل من أهمية مراعاة الأصول والخصوصيات، «فنحن في عصر "الفكر للجميع"، فلم يعد هناك طبقة قليلة من الناس تفكر، بينما الأخرى والأكثر عددًا حظها أن تنقاد لما يقوله الأكثر علمًا، والأنفذ بصيرة، والأرجح رأيًا، الكل أصبح يعتقد أن من حقه قول ما يريد، ومناقشة ما يشاء، ومن يشاء»<sup>(١)</sup>.

فرعاية النصوص ودلالاتها وعدم لي أعناق الأدلة بأي صورة من صور الاستبطان أو الاستظهار العشوائي، هو ما عليه العلماء في الاستهداء بالقرآن الكريم وبيناته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده»<sup>(٢)</sup>.

**الصورة الثانية:** اطراد منهج التأويل المذموم وقصد التساهل لا التسهيل والحادثة لا التحديث، وهذا المستوى يغلب عليه لي أعناق الأدلة لتجري في مسار التبعية الفكرية الذي تشربه المستدل أو غلب عليه فلم يستطع التخلص منه، أو سبق إلى فطرته وعقله فقيده بالأوهام، وهذا المسلك يطرد في التأسيس والاستدلال في المسائل الجزئية، سواء وصفت بالفقهية أو الفكرية، ولا حرمة لقداسة النص ولا إشفاق من لازم مثل هذا السلوك، وهذا التحليل غاية في الأهمية، حيث إن تفسير صور الممانعة في مستوياتها المختلفة فيها تنبيه على مستوياتها، فالممانعة مطردة، وتتعزز

(١) السعيد، محمد إبراهيم، (٢٠١٤م)، "منهج للبناء الفكري"، مركز الفكر المعاصر، ط٢، نشر دار الوعي، المملكة العربية السعودية، (ص: ٧).

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، "مجموع الفتاوى"، مرجع سابق (٢٨/١٣).

بما تركه من أعراف أكاديمية ومهنية تحول بين الأكاديميين والتربويين في التعليم، ففي الفكر التربوي تجد الفلسفات التربوية تبلور المعارف والحقائق ومستوياتها من تعميمات ونظريات حسب خلفياتها الفكرية، ثم تجعل ذلك معياراً، وفي حقل علم النفس التربوي تفسر نتائج البحوث التربوية التجريبية في ضوء نظريات المدرسة السلوكية والمعرفية المعاصرة، فلا يعطى التفسير القيمي والتربوي الإسلامي حقه، وهذا حمل أشخاص الظل من جنود التبعية على الجراف العلمي والقيمي والدعوة إلى الاستمرار في تبني التأويل كمنهج، فكّون شعاراً مطرداً، وهذا يظهر بوضوح في المؤلفات في هذا الجانب التي جاءت تحت عنوان القراءة المفتوحة للنص، وما شابه ذلك من مرادفات.

**الصورة الثالثة:** شرعنة ومنهجة التعسف في التأويل تحت معنى التبديد لا التجديد، والسعي في إهدار التراث القيمي الذي تركه الفقهاء بحجج واهية ومموجة لا تعالج أو تسد فجوة حقيقية، بل تترك جرحاً غائراً يشغل العلماء والفقهاء والمربون والمفكرون بمعالجته. ولعل من تجارب التبعية الفكرية التي تثير الشفقة أكثر مما توهم التحدي بل تحمل على نعي أهل المذاهب الفكرية التي تطفئ أنوار الهداية؛ ما يورده البعض من تجوز لا يفني به واقع ولا عادة ولا عرف أكاديمي، فمن ذلك الزج بمنهج غريب على معهود خطاب العرب وأهل التنزيل وهو الهرمنيوطيقاً<sup>(١)</sup>، يقول نصر أبو زيد: «وتعد الهرمنيوطيقا الجدلية عند جادامر

(١) الهرمنيوطيقا: هي المدرسة الفلسفية التي تشير لتطور دراسة نظريات تفسير وفن دراسة وفهم النصوص في فقه اللغة واللاهوت والنقد الأدبي. ويستخدم مصطلح هرمنيوطيقا في الدراسات الدينية للدلالة على دراسة وتفسير النصوص الدينية. وفي الفلسفة هي المبدأ المثالي الذي من خلاله تكون فيه الحقائق الاجتماعية (وربما أيضاً الحقائق الطبيعية) رموزاً أو نصوصاً، والتي بدورها يجب أن يتم تفسيرها بدلاً من وصفها أو إيضاحها بموضوعية. يُنظر: موسوعة ويكيبيديا

[https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%84%D9%85\\_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A3\(%D9%88%D9%8A%D9%84\\_%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%84%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A3(%D9%88%D9%8A%D9%84_%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9)

بعد تعديلها من خلال منظور جدلي مادي، نقطة بدء أصيلة للنظر إلى علاقة المفسر بالنص لا في النصوص الأدبية ونظرية الأدب فحسب، بل في إعادة النظر في تراثنا الديني حول تفسير القرآن منذ أقدم عصوره وحتى الآن»<sup>(١)</sup>.

وقد بين الله تعالى أن أعظم أسباب التعسف والتأويل واتخاذ منهجاً ومذهباً في الصد عن ما في التنزيل هو حب الدنيا واتباع الهوى، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٣].

وقال تعالى آمراً بالعدل الذي يُعد مسدداً في الوقوف على الحق وترك دواعي الهوى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَن تَعْدِلُوا﴾ [النساء: ١٣٥].

وهذه الاعتبارات السابقة هي ما تنبه على أهمية التزام العرف الفقهي والترسل في مقاماته، وذلك حتى يسدد رواد التربية وأساتذة الفكر في التأسيس والبناء التربوي، ويلتزم لهما ما انفتق عند غيرهم، فيصلوا ما وصل الله وعيونهم على كل جديد، دون التمرس بالمدرسية والانتماء لمذهب فكري يحمل في طياته شفرة جينية قد تسبب مولوداً هجيناً، أو السقوط في هوى جحر الضب الذي نهى عنه النبي ﷺ.

### المطلب الثاني: معايير ومؤشرات في مسعى الاستنباط

في ضوء ما سبق يمكن استظهار معايير عامة في استنباط أسس البناء التربوي الفكرية والمعرفية، وحسب الظهور تترشح المؤشرات العامة لتلك المعايير التالية:

• أن يكون الأساس مشتهراً أدلته منتشرة في القرآن بحيث يترشح الأساس بصورة قطعية أو شبه قطعية؛ فإن من مميزات الأسس أن تكون من الواضوح

(١) أبو زيد، نصر حامد، (٢٠٠٥م) "إشكاليات القراءة وآليات التأويل"، نشر: المركز الثقافي العربي، ط٧، الدار البيضاء، المغرب، (ص: ٤٩).

والشهرة ما يدعم مقصود التأصيل، وهذا يعني أن تكون صريحة في تناوله معززة بفعل النبي صلى الله عليه وسلم والتجربة التربوية لمساندة القرون الفاضلة وبعدها. وهذا الاعتبار يلتمس من جهود العلماء في تأصيلهم للفقه وكيفية بناء الأصول الفقهية، ومثله ما يلتمس من علم القواعد الفقهية في بناء القواعد الجامعة، وهو أيضًا وارد في الخطاب القرآني من حيث التأكيد؛ فإن القضايا الكبرى التي تتعلق بالضرورات يلتمسها العلماء من التأكيدات المتنوعة ومن العمومات المنتشرة، فمثلاً: من ينظر إلى الحقوق ورعاية القرآن لها في صور متنوعة من النهي عن أخذها أو إهدارها بأي صورة يتقرر عنده أصل وأساس يبني عليه نظره في باب الحقوق، وهو: "أن الأصل في الحقوق المشاحة والضيق". وهكذا كلما انتشر الأمر بالشيء والتنويه به، فإنه يقرر أصلاً ويقوي العمل به، وتجدر الأصوليين في باب العموم - مثلاً - يراعون ذلك في ما يتكرر تقريره من العمومات، «وعلى الجملة؛ فكل أصل تكرر تقريره وتأكد أمره وفهم ذلك من مجاري الكلام فهو مأخوذ على حسب عمومته وأكثر الأصول تكراراً الأصول المكية؛ كالأمر بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، والنهي عن الفحشاء والمنكر، والبغي، وأشباه ذلك»<sup>(١)</sup>.

• ينطلق التأصيل من الحاجة والضرورة النظرية أكثر مما ينطلق من التخيل والوهم والفلسفة التي تنبني على التخمينات والفروض النظرية، وأن لا ينشب التأسيس في مضاهاة أو محاولة نقل النموذج، فنوظف معرفة مفاهيمها غير مميزة وحقائقها غير موثوق بها، والمهارات والممارسات التي تتفرع عليها ليست ذات جدوى والقيم مشوشة، فهذه المعرفة وأسسها ستولد حيرة أكثر مما يتوقع منها من وضوح رؤية ومبادأة في ممارسات واعية ومثمرة.

(١) الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي (١٤١٧هـ)، "الموافقات"، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، نشر: دار ابن عفان، القاهرة، مصر، (٧٠/٤).



إن هذا الاحتراز ينسجم مع المنهج العلمي، حيث إن الفروض العلمية البعيدة عادة ما تستبعد في حل المشكلات ولا يبنى عليها قاعدة أو نظرية أو أي أساس، ومجال الفلسفات الوضعية خير دليل على الإغراق في التخيل في تفسير الظواهر الطبيعية والكونية، وتأسيس الفروض تبعاً للتخييلات الفلسفية التي لا تثمر عملاً ولا تقاس بمشهود، والقرآن الكريم يرشد النظر في الجانب العلمي والعملية لأنه رسالة سماوية لا تترك للتخيل مدخلاً للتوهم أو الإنشغال بما ليس منه نفع أو فضول التأسيس النظري لما لا يثمر حقائق علمية أو عملية، ولذلك نهى عن الخرافات العلمية والعملية والتخرصات والظنون، ونهى عن اتباع ما يسوق إليها من تتبع، وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

• أن يكون الأصل فيه قدر من المرونة التي لا تفرغه من محتواه، وذلك كي لا يكون أساساً آنياً ومرحلياً أنشأته الظروف أو ينشأ كردة فعل يحمل المستنبط على تتبع الخفي من الدلالة والظاهر الضعيف، ويدع الصريح أو النص، والمرونة المرحلية في تبني أسس استثنائية داعمة، لكن لا تجعل عادة مطردة.

وتعدد الفلسفات التربوية قبل الحرب العالمية وبعدها تعكس أثر التخبط الفكري المعرفي الذي كان يعتمد في أسسه النظرية على الواقع والسير معه مداً وجزراً، فالحاجات المرحلية هي المنحدرات التي كونت معسكرات فكرية لها أسسها ومعارفها التي انقسمت بين مؤالف ومخالف لم ينته الصراع بينها إلى الساعة بسبب التصلب من ناحية فكرية، والعوز من الناحية المعرفية والوجدانية، وهذا ناتج من الأسس المعرفية التي قدمت المنفعة وما يدعمها من معرفة على ما تحتاجه النفس من قيم موجّهة، فالأصول مطاطية باعتبار ما تمنحه من نفع وكسب، ومتصلبة باعتبار القيم، فلا تسمح للقيم الإنسانية بدور ترشيد أو تأسيس، بل دور تابع حسب ما يتبدى من نفع برجماتي.

أما المنظور الإسلامي المعرفي حسب ما تجلّى في الجانب التأصيلي فإن الكليات العامة التي تشكل أصولاً عامة مطردة لا تتغير إلا بما يتبدى من ضرورات تقدر بقدرها، فتعود على الأساس بالتخصيص أو التقييد في أعيان أو حالات أو ظروف قياسية يقوم تخصيصها بناءً على الحكمة والمصلحة العامة أو الخاصة الدنيوية أو الأخروية، فمثلاً: الأصل التربوي في باب الإحسان أن المحسن يجازى بإحسان والمسيء بما يقابله؛ لقوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا ﴾ [يونس: ٢٧]، إلا أن هذه القواعد قد تتخلف لتخلف شروطها كتنوع الأعيان والأسباب وغيرها من القرائن.

• أن كفاءة المعارف التي يبني عليه نجاحها في المجال التجريبي لا ينعكس على أساسها المعرفي والفكري، فيعود عليه بالإبطال، فكل أساس معرفي أو فكري يتأثر بطبيعة مجاله وانتمائه، فمجال التجريب غير مجال التنظير، فلا يحتج بالتجريب على ما ثبت كفاءته النظرية بنص قطعي من القرآن الكريم، وهذا وقع في المجال التجريبي، وانسحب إلى المجال النظري في الدراسات الاجتماعية وتأثر به من كتب في التأصيل التربوي، فالمذاهب الفكرية العلمانية والليبرالية الاشتراكية أثرت على رواد التبعية فانعكست خصائص تلك المناهج على تصورات الرواد، فلا شيء ثابت، وكل شيء قابل للتجريب بل في أي جانب.

وهذا واضح في الشريعة وفي الفقه، وهو ظاهر القرآن، فما كان كلياً من الأحكام والقضايا والقواعد لا يمكن أن تلغيه واقعة عين أو تخصيص بحالة أو غيره، وهذا أصل مطرد، ولذلك نجد عند الفقهاء مثلاً: لا يجوز أن يستنبط من النص معنى يعود عليه بالإبطال<sup>(١)</sup>، فما جاء صراحة ومقطوع به من النص لا يستنبط منه

(١) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (١٤١١هـ)، "الأشباه والنظائر"، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (١/ ٤٥٦).

اجتهاداً ما يبطل دلالة النص الصريحة. وهذا يجري في القطعيات العامة، فالأصول العامة لا تعارضها ما يتخلف عنها من جزئيات، فتلغي الأصل بل يجري ما سبق ذكره من تخصيص أو تقييد، هذا حتى لا يقع تناقض، ولا تنقض الأصول العامة والأسس المعرفية بالمفردات الشاذة أو المخصصة، قال الشاطبي في هذا المعنى النظري: «لأن الأمر الكلي إذا ثبت كلياً، فتخلف بعض الجزئيات عن مقتضى الكلي لا يخرج عن كونه كلياً، وأيضاً إن الغالب الأكثرى معتبر في الشريعة اعتبار العام القطعي؛ لأن المتخلفات الجزئية لا ينتظم منها كلي يعارض هذا الكلي الثابت»<sup>(١)</sup>.

وهذا يهمننا في المجال التربوي من منظوره الإسلامي، فلا يعني النجاح النسبي أو المرحلي العلمي التجريبي في أن يعود على الأسس والحقائق الغيبية في القرآن الكريم بالإبطال، وذلك أن نجاح المنهج التجريبي في أوروبا أثر على أسس العلوم الإنسانية وعلم الغيب، فعاد على الجانب الغيبي بالإبطال، وحصر وسائل العلم في الضروري منه، وما يمكن التحقق منه بالحواس والمشاهدات، وهذا سببه عجز الفلسفة الوضعية عن تفسير ظواهر الكون تفسيراً علمياً، فساق هذا القصور إلى الركون على الفلسفة الطبيعية والتجريب.

و«إن إغراءات التجارب المتميزة في أنظمة التعليم الأجنبي تقوم على الحواس الخمس إلى الدرجة التي يتلاشى معها بقية المصادر الأخرى كالوحي، فلا يمكن أن تكون المصدر الوحيد للعلم والمعرفة»<sup>(٢)</sup>.

وهذا العجز غير موجود في الشريعة، وقد ندب إليه وبين مدركاته وقرر بالعقل والنقل آيات الغيب، كالمعاد والبعث والموت وغيرها، وهذا ما قدمت فيه الفلسفة الوضعية تفسيراً خرافياً يدحض بتصوره فضلاً عن تتبع دلائله.

(١) الشاطبي، "الموافقات"؛ مرجع سابق (٢/ ٨٤).

(٢) الزهراني، صالح يمحي، "منطلقات دراسة التربية المقارنة وضوابطها في ضوء التربية الإسلامية"، مرجع سابق (ص: ١٥).

• ما كان دعمًا وتشديدًا لأساس معرفي أو فكري أقوى مما كان تأسيسًا واكتشافًا، وذلك أن الأمة المسلمة في تراثه الفقهي التربوي والفكري قد استوعبت المشاكل التربوية والحياتية وعاصرتها وعصرتها بحثًا، وقدمت أصولاً عامة، سواء في بلد العرب أو العجم، فقد أثرت في ملامح الثقافات واللغات وصبغت حياة البلاد التي رحلت إليها، وهذه التجربة رصدت الأسس ووضحتها، ومن تتبعها عرف تطوراتها وملامح نضجها وسار على امتدادها، فهو أقرب وأوثق في الاستنباط، ومن أنشأ واكتشف دون امتداد يحتاج إلى مقررات وأرض صلبة من البحث وبيان منطلقاتها المعرفية والفكرية التربوية.

والتخطيط الفكري والمعرفي التربوي الذي تناوب على رواد الفكر والتربية في اتجاه العالم ينبه على هذا الاعتبار، وفي التجربة الاشتراكية في مراحلها والمثالية والاجتماعية والبرجماتية وما نشأ عنها من صيغة عامة انسحبت على الحياة، وما حدث من حروب عالمية وإقليمية طاحنة تنبه على أهمية رعاية الأصيل وتطويره ورعايته والذي يعد سمة في الفكر الإسلامي والإنشاء والتأسيس والتبديل المتعاقب في المناهج الشمولية سمة بارزة.

ولذلك كانت العلاقة بين الأجيال من منظور إسلامي هي علاقة بناء على ما تقدم وتطوير ينبثق من أصول واضحة مطردة لا هدم وتنكر للأصالة وقطع امتدادها، فمن يرى هذا العيار يجده غير متحقق في الفلسفات الوضعية، فالفلسفات الوضعية تتنازع فيما بينها وتقع بينها قطيعة معرفية موعلة، بل الفلسفة الواحدة كالبرجماتية تتصارع بين أهواء مؤسسيها بحيث تتناوب على القضية التربوية تناقضات تأخذ بالأطراف نفيًا وإثباتًا.

وهذا ليس عليه التنزيل في إعمال الفكر وتأصيل الأصول، فقد جاء ما يقرر رعاية الصلة ورعاية الخلف لما عهده من السلف من خير، يقول تعالى بعد مدح

الأنصار وما هم عليه من صلة ومعروف: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا  
أَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ  
رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]. وهذا يثمر رعاية الامتدادات التربوية الصالحة والبناء  
عليها لا جحودها والتنكر لها بدعوى التأسيس والاكتشاف، وإن كانت المجالات  
لها مميزاتها، إلا أن التأسيس المطلق مذموم وما يدعمه من نظر.

ولكي يتم هذا المطلب أذكر بعض المعالم التي تُرشد عملية استنباط أسس التربية  
الفكرية المعرفية من القرآن الكريم في ضوء خصائص الأسس التربوية والفكرية  
والمعرفية التي توجد في القرآن لاتصالها بعملية التأصيل المنهجية لتلك الأسس،  
والتي تتمثل في التالي:

#### أ - رعاية الثابت والمتغير:

إن مما تضاربت فيه العقول والفلسفات التي كانت في معزل عن النبوات  
والرسالات السماوية وما أثمرته من خلط في أهم القضايا التي يتصدرها هو  
التوحيد ولوازمه، فهو قطب الرحي الذي تدور حوله الفلسفة العامة التي تعد  
فلسفة التربية ومتعلقاتها الفكرية والمعرفية فرعاً عنه، فإن أشهر الفلسفات التربوية  
العامة كالمثالية والواقعية والبرجماتية تمتد أصولها إلى ما قبل ميلاد المسيح، ثم تنحدر  
عبر الديانة المسيحية لتؤثر في صفتها، لكنها لا تلبث أن تتأثر بالمراحل التي مرت بها  
لتحدث صراعاً يفرخ أنواعاً من الفلسفات التي تركز على جانب في فترة ما دون  
آخر. ولا أدل على ذلك من تحولات الفلسفة النفعية البرجماتية.

فكما سبق في المؤشرات فهناك أحكام هي من ضرورات الدين ومن صلبه الذي  
لا يتغير الحكم فيها بتغير الأهليات أو الأزمنة والأوقات، وهناك أحكام وسعت  
فيها الشريعة ليراعى فيها أحوال الناس وما استجد من قضاياهم العلمية والعملية،  
وهذا معلم مهم يحسن برواد التربية رعايته في ممارساتهم التربوية، فيراعوا الثوابت

العامّة التي تشكل مسار الفكر التربوي ومفردات الحقل المعرفي وتقرر أسسها، فالتلفيق والخلط بين المفهومين -الثابت والمتغير من الشريعة- فيه إخلال بالفهم والعلم والعمل، فالمزاج التربوي العام اليوم في حالة من التحولات المفاهيمية والظفرات المعرفية، والتي يصاحبها ظفرات فكرية لا ينبغي أن تؤثر على الممارسات التربوية ومنطلقاتها الفكرية والمعرفية.

فراءة المشهد التربوي والتعاطي مع إشكالاته ينبغي أن يستند على الثوابت في المجال التربوي، وأن تفسر الممارسات التربوية في الحقل المعرفي والفكري وفق تلك الثوابت وما تقدمه من علل تربوية معرفية وقيمية ومهارية، فمن أعظم الثوابت - كما سبق - أن التربية عبادة في مجملها تقوم على كلية عامة تستمد من قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والوعي بهذا المعلم يعين على الاستمرارية والمرونة النسبية التي تعين على التعاطي مع المتغيرات التربوية المعرفية والفكرية في مستواها، وهي اليوم كثيرة جداً تطالعنا الحُزم البرمجية بمؤشرات تنبه على نضج التعاطي معها ليتجاوز المستوى التقليدي إلى المستوى التقني الآلي، فالذكاء الاصطناعي والعرف الأكاديمي والمهني المعاصر في الدوائر التربوية والحقول المعرفية والفكرية أخذ في التبلور والتحول إلى معايير وقوائم تدقيق لا يتجاوزها المفكر، وظهر في صورة معايير الجودة الشاملة الأمريكي والأيزو البريطاني، فهذا التذكير ينبه على ما ينبغي بذله من جهود للإبقاء على الثوابت المستمدة من الكتاب العزيز في تأسيس البناء التربوي.

### ب- حب القرآن وتملكه لناصية المفكر:

إن علماء أصول الفقه واطأوا الصواب عندما اعتنوا بالاجتهاد الفقهي وتحقيق مناطه، حيث كانت غايتهم أن لا يتسور الاجتهاد من ليس أهلاً له، وإن كانت هناك وجهات نظر متباينة في ذلك، إلا أن أمراً مهماً يتعلق بالاجتهاد التربوي أو

الفكري - إن صح التعبير - يُستعار من هذا الموضوع، وهو اشتراطهم أن يكون لدى المفتي أو المجتهد رغبة ونية، وهذا الشرط غاية في الأهمية في سياق التأصيل للبناء التربوي والفكري، حيث إنه من الضرورة بمكان أن يكون الباحث في تقرير الأسس التربوية له هممة واحتساب، وأن يجوز إلى جانب معرفته المهنية والأكاديمية المعرفة بالقرآن مشفوعة بحبه له والإيمان بمحاسن تشريعه وكماله وعظمته، فتتملكه حقائقه وبياناته، ففيه فرقان وبيان وكفاية معرفية، قال تعالى: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨].

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩].

﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [يونس: ٣٧].

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ [الكهف: ٥٤].

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾

[الإسراء: ٨٢].

فإنه لا يتوقع ممن وهنت محبته لكتاب ربه أن يلتمس سبل السلام فيه، وما فيه من بيان وموعظة وهدى، وهذا عيار لا مشاحة فيه، فإنك إذا نظرت في المؤتمرات العالمية والعربية التي تناولت إصلاح النظم التربوية وما هي اتجاهات المنظرين لها؛ وجدتها قومية أو اشتراكية أو ليبرالية أو غير ذلك من الاتجاهات الفكرية التي لا تجذب إليها معدن القرآن ولا تلتقي معه في ورد ولا صدر.

يقول الفاروقي: «إن البحث الأصيل عن المعرفة لا وجود له دون روح تبعث فيه الحياة، وهذه الروح هي بالذات ما لا يمكن اقتباسه، وذلك لأنها تتولد من الرؤية الواضحة للنفس وللعالم وللحقيقة، أي: من الدين، وهذا هو ما يفتقده نظام التعليم في العالم الإسلامي اليوم»<sup>(١)</sup>.

(١) الفاروقي، إسماعيل راجي، (١٩٨٣م)، أسلمة المعرفة المبادئ العامة وخطة العمل، ترجمة عبد الوارث سعيد، دار البحوث العلمية بالكويت، جامعة الكويت (ص: ١٨).

**ج- التأسيس واقعي وخطوة في إجراء:**

إن ترابط أسس البناء التربوي عمومًا والأسس الفكرية والمعرفية خصوصًا ليس ترفاً فكرياً يراوح في مستويات التنظير والجدل العقيم، فالقرآن كتاب هداية وإرشاد وتسديد للقول والعمل، وجاء في آيات كثيرة الحض على الجمع بين القريين، وقد ذم الله أهل الكتاب على مخالفتهم لما يتلونه من قول بما يتبعونه من عمل، وذم دعوى القول بدون ما يصدقونه من عمل: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]، وأثنى على من وافق قوله عمله: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]، وفي جانب الحض والحث والمبادأة بأمر الحسنى والتي هي أحسن، وهذا تقرير للفاعلية وصورها: ﴿ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤] .

ومن تطبيقات هذا المعلم التربوية: أن تجسر الفجوة بين الأكاديمي والمهني في الحقل التربوي وأن لا يكون بناء الأسس واستخلاصها من القرآن الكريم ودعمها ببقية الأصول لا يتجاوز قسم أصول التربية، بل ينبغي أن ينسحب من مستوياته التجريدية العامة إلى مستويات السياسات التربوية ثم مستويات الأهداف التعليمية المجالية، ثم الأهداف الإجرائية السلوكية، وهذا يحتاج إلى نقاش وحوار بين ممثلي القسامين وبلورة عملية التشارك بقوائم معايير ضابطة لتلك الممارسات التربوية والتعليمية وفي مستوياتها المتتابعة، فهذه خصيصة مهمة تتميز بها التربية الإسلامية والفكر الإسلامي، فالعمل بالجانب النظري المستخلص من أصول الشريعة فيه رعاية للخصوصية الفكرية والمعرفية الإسلامية.

**د- بناء الأسس التربوية جهد وعمل مقصود لا اتفاقي.**

إن بذل الجهود في سبيل بناء منظومة بناء تربوي قوي له أبعاده وامتداداته العلمية والعملية النظرية والتطبيقية هو عمل مقصود لا أنه أدبيات عارضة أو



مفتعلة على جهة الترف ومضاهاة المنظومات التربوية الأخرى، فليست الممارسات التربوية مبتورة عن النيات والمقاصد والخلفيات الفكرية والمعرفية الموجهة، وإن كان من الصعب الوقوف عليها في كل تصرف تربوي إلا بنوع من قبح زناد الفكر وإثارة إشكال وتساؤل وتتبع معايير العمل حسب الخلفية الفكرية، إلا أن رعاية الأصول المعرفية والفكرية يعبر عنه ظهورها في التصرفات والممارسات التربوية على جهة العموم، فمن رأى تصلب المتأخرين من البرجمائين كرائد التربية جون ديوي يعرف مدى تمكن الأسس المعرفية والفكرية للبرجمائية في عقول الرواد والمنهجين والمدرسين والإداريين التربويين، ومن رأى وتابع ما وضعته الفلسفة المادية الشيوعية من شروط منهجية فكرية صارمة في الدول التي سيطرت عليها بعد الحرب العالمية الثانية عرف تصلب الفكر الفلسفي الأرضي والذي يقابله وهن من رواد التربية في الفكر التربوي الرباني، وممارسة المبادئ التربوية في معزل عن أسسه وقيمه المعرفية والفكرية.

ولعل أهم ما ينبه على هذا المعلم هو: أن القرآن الكريم وبقية أصول الشريعة على أن العمل والفكر والنية يؤجر فاعلها إذا نوى الخير، ويأثم إذا نوى الشر، وأن الأجر على قدر الاحتساب وابتغاء وجه الله تعالى، وبهذا جاءت الآيات والآثار الكثيرة التي تنبه على هذا المعلم، ولذلك يشترط في صحة العمل وقبوله أن يكون خالصاً صواباً، وهذا عين ما يرد هنا، فممارسة التأسيس الفكري والمعرفي التربوي عمل مقصود ويؤجر عليه فاعله وليس كيفما اتفق.

فممارسة التأصيل التربوي والعمل بتلك الأصول عمل شرعي له من الحرمة ما يعظم ويرجى خيره، وهذا يتفرع عن الأساس المعرفي الأعظم وهو توحيد الله تعالى وابتغاء الثواب منه في الإقدام والإحجام، فالممارسات التربوية ينبغي أن تنطلق من تثبيت من النفس لا كيفما اتفق في الورد والصدر، قال تعالى في ضرب المثال لمثل

هذا المطلب: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَأَنَّتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ ۗ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۙ ﴾ [البقرة: ٢٦٥] ، وقال تعالى في من لا يرجو بعمله الآخرة: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۙ ﴾ [النبا: ٢٧] ، وهذا مطلب مهم في سائر الممارسات التربوية حتى تنساب الأعمال إلى غاياتها الشريفة فلا تقع دونها بالمقاصد المغلوطة، وبهذا يقوم نظام التربية وتثمر جهود القائمين عليه.

يقول ابن خلدون: «واعلم أن الدنيا كلها وأحوالها عند الشارع مطية للآخرة، ومن فقد المطية فقد الوصول، وليس مراده فيما ينهى عنه أو يذمه من أفعال البشر أو يندب إلى تركه إهماله بالكلية أو اقتلاعه من أصله، وتعطيل القوى التي ينشأ عليها بالكلية، إنما قصده تصريفها في أغراض الحق جهد الاستطاعة، حتى تصير المقاصد كلها حقاً»<sup>(١)</sup>.

### هـ- معارف القرآن مؤسسة ومنشئة ومبينة وغيرها فرع عنها.

إن هذا معلم من المعالم الواضحة التي تُعد فرقا بين معارف القرآن الكريم وغيره من المعارف، فمفاهيم القرآن وحقائقه وتعميماته مؤسسة ومنشئة للطلب وللخبر، للأمر والنهي، فهي نافية أو مثبتة، وإليها يرجع عند التأصيل والبناء، أما غيرها فهو يتفرع عنها في الإنشاء والإثبات وفي البيان، وهذا معلم مهم مميز للقرآن ونصوصه، وهو ما يحزر ويحكم فيها يقدم بين يديه من الإنشاءات والأخبار والتكاليف والنظريات والأسس، وهو العيار في وزن التراث الإسلامي التربوي فضلاً عن التراث الغربي، وهذا يرجع إلى ما يقرر ذلك من النصوص الكثيرة التي تأمر باتباع التنزيل وعدم الابتداع أو الاختراع أو مشاققة الله سبحانه وتعالى في أمره

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، (١٤٠٨هـ)، "تاريخ ابن خلدون"، تحقيق: خليل شحادة، ط٢، نشر: دار الفكر، بيروت، لبنان. (٢٥٣/١).

ومعارضة خبره، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَأَقْبُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١]، ﴿إِنَّ الْحَكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨].

وإذا استعرنا ما يقرر ذلك من المجال الفقهي؛ فإننا نجد أن من يقول بالقياس كدليل يرى أن مهمته هي البيان والإظهار لا التأسيس والإنشاء، وهذا ينبغي أن يؤخذ في الحسبان في تقويم المعارف والاستدلال بها وطرق التفكير وموضعها من تلك المعارف، وهذا يظهر (من يتأقلم مع من)، فتحن مطالبون أن نتأقلم مع ما يقضي به القرآن وبيناته، لا أن نجعل القرآن تابعاً لما يغلب علينا من عوارض إضافية أو نزوات أو مذاهب فكرية تؤثر التصورات ومخرجات التأسيس التي هي غاية في الخطورة نظراً لما يبني عليها من المفاهيم والقواعد.

وهذا يقرر أن الفكر التربوي ينبغي أن يكون مبيناً ومنشأً تبعاً لطبيعة معارف القرآن، لأنه يستقل بإنشاء أصول أو قواعد لا تنبثق من معارف القرآن وما تقضي به من نفي أو إثبات.

ومن تطبيقات هذا المعلم: الوقوف أمام ما يعمم من توصيات لمنظمات عالمية تتعلق بالتربية وبالأسس المعرفية والفكرية وبالبناء التربوي عمومًا، فتقديم تلك التوصيات المؤسسة والمنشئة لممارسات تربوية لا تنطلق من الأسس التربوية من منظورها الإسلامي فيه خرق للمنظومة التربوية وأسسها العامة خاصة فيما يتعلق بالثوابت العامة التي تعد رسوماً تربوية معروفة عند عامة أفراد المجتمع فضلاً عن النخب المثقفة.

وإذا علمنا أن هناك مزاجاً علمانياً عالمياً يدعمه الاستشراق وتظهر تجلياته في تشويه معالم التربية في القرآن الكريم، وأنه كتاب يربي على العنف، وأن فكره إرهابي، وما إلى ذلك من الدعاوى التي تظهر وبوضوح في ترجمات القرآن المحرفة، ومع هذا التذمر نجد في الجانب الآخر «التعاطف الشديد لديانات شرقية أخرى رغم معرفة الغرب المتأخرة والقليلة بكتبها، مثل: الزنادافستا الزرادشتية، والسلال البوذية، والفيدا الهندوسية»<sup>(١)</sup>.

«والإلحاد اليوم هو دين متشدد له أسسه المعرفية والفكرية التي يراهن عليها وينافح عنها، فاللائكية العلمانية مذهب متعصب ودونهم مذهب العلمانية الجزئية وهلم جرا»، و«إنه لا مجتمع بل دين وليس ثمة أكثر تديناً بل تعصباً دينياً من مجتمع الملحدين ذاته، إذ ليس الإلحاد إلا دين الملحدين يقوم فيهم بوظيفة أي دين»<sup>(٢)</sup>.

### و- لا تخلو ممارسة تربوية من امتداد معرفي أو فكري.

إن أي ممارسة تربوية اعتبارية لا تخلو من بعد معرفي أو فلسفي فكري، وهو ما يشير إلى أهمية التماس الأسس التربوية للممارسات التربوية، فالفلسفات التربوية المعروفة تنطلق ممارساتها التربوية في البناء والتنظير والتطبيق وتقويم المخرجات التربوية من مسلماتها المعرفية والفلسفية التي تواضع عليها روادها أو التقوا عند أصولها العامة والفلسفات المادية أو ما يقابلها من مثالية ترجع إلى فلسفات قديمة انحدر بعضها بالكنيسة في فترة من فترات نموها وتحولاتها، فجدور الفلسفات المشهورة كالبرجماتية والمثالية ترجع إلى فلسفات يونانية مع تحوير طفيف لا يمنع من تفسير ممارسات الرواد المعاصرين في ضوء تلك الفلسفات، فالفلسفة البرجماتية

(١) عبد المحسن، عبد الراضي محمد، (٢٠٠٦م) "ماذا يريد الغرب من القرآن"، كتاب البيان، مجلة البيان، سلسلة دراسات العالم العربي (٢) مطابع أضواء البيان، (ص ٦ - ٧).

(٢) سيف الدولة، عصمت، (١٩٨٦م)، "العروبة والإسلام"، دار المستقبل العربي، بيروت، لبنان (ص: ٢٣٦).

ترجع إلى الأبيقورية التي تقوم على اللذة وتتبعها في أقماع السمسم، والمثالية ترجع إلى الأفلاطونية، ووهم المثال الذي يقع في الذهن ولا يسعف به الواقع، ولا أدل على تفسيرها لطبيعة الإنسان بأنه شرير، وينبغي أن يعاقب وتقمع نفسه عن مناها المشروعة ومع ازدواجية طبقية موازية تنسف ما تسعى إليه من مثل، وهذه الفلسفات مع أن لها أسسها المعرفية، فكذلك معها أسسها الفكرية التي ظهرت في فلسفة الطواهر التربوية، وفي بيان وسائل الفكر في أحكامه موضوعات التربية وفي مقدمتها الأخلاق والقيم والضمير ومعايره، وغيرها من القضايا التي عكست التناقض الشديد بين مدارسها المختلفة، يقول روسو عنهم: «ووجدتهم لا يجهلون شيئاً ولا يثبتون شيئاً.. وإذا عدتكم الطرق أبصرتكم اقتصار كل منهم على طريقة، لا يتفقون إلا على الجدل...»<sup>(١)</sup>.

ومن وسائل الفكر التي تاهت بها الفلسفات هو اعتمادهم الحدس في الغيبات، وهو ما خالفتهم فيها النبوات وما جاءت به من تنزيل، يقول الندوي: «يعتقد ابن تيمية أن المتكلمين والفلاسفة كلهم إنما ارتكبوا نوعاً واحداً من الخطأ، وأن خطة عملهم واحدة بالرغم من جميع الخلافات التي توحد بينهم، إن خطأ كل من هؤلاء وضعفهم أنهم حاولوا أن يعتمدوا على الحدس في الحصول على الشيء الذي لا يحصل بالحدس والتخمين، وصاروا الفطرة والنبوة كليهما، ولذلك فإن تحقيقاتهم إثمها أكبر من نفعها»<sup>(٢)</sup>.

وهذا المعلم له وجهان تطبيقيان يتعلق أحدهما بالانكفاء الذاتي وما ينبغي أن ننطلق منه من أسس في ممارساتنا التربوية، رائدنا في ذلك القرآن في التأسيس المعرفي

---

(١) روسو، جان جاك، (١٩٥٦م) "أميل أو التربية"، ترجمة عادل زعير، دار المعارف، القاهرة، مصر (ص: ٤٧٩-٤٨٠).

(٢) الندوي، أبو الحسن، (١٤٢٥م) "رجال الفكر والدعوة في الإسلام"، اعتنى به: سيد عبد المساجد الغوري، الطبعة الثانية دار ابن كثير، دمشق، سوريا، (٢/٢١٢).

والفكري. والوجه الآخر في اقتباسنا من الفلسفات الأخرى وهو ما يمكن أن نسميه بالتقاطعات الاتفاقية التي يقرها القرآن الكريم، وله تفسيره الواضح فيه، وهذا من التقاطعات المليية والعقلية التي يهدبها القرآن ويأمر بها، كمحاسن الأخلاق، وما يشابهها، فلنا شرعتنا ومنهاجنا، وهذا يبينه قوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَمِثْنِمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخَلِّفُونَ ﴾ [المائدة: ٤٨].

ف «قد نقبل استيعاب دروس التقنية من النظام الاشتراكي دون مبادئه، وليس هناك ما يمنع أيضاً من الإشادة بالسلوك العملي والنشاط الدؤوب لأصحاب المذهب العملي البرجماتي، رافضين رفضاً باتاً فكرة «إن الحق أو الخير كالسلعة المطروحة في الأسواق، قيمتها لا تقوم في ذاتها بل في الثمن الذي يدفع فيها فعلاً»<sup>(١)</sup>، ومع الارتفاع بغاياتنا العملية - في الوقت نفسه - إلى طلب الآخرة ونحن نسعى في هذه الدنيا»<sup>(٢)</sup>.

### ح- نصوص المعارف والفكر التربوي في القرآن الكريم حاكمة ومفسرة ونقدية بناءة.

إن نصوص القرآن الكريم محكمة في غيرها من الاجتهادات ومؤسسة للأصول والقواعد والبنى التربوية في مجالات التربية المختلفة، بل في جميع مجالات الحياة، وذلك أن القرآن حق ودونه من الظنون باطل يقضي عليه القرآن ببيناته: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِنْتُبٌ عَزِيزٌ ﴾ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿

(١) الطويل، توفيق (١٩٦٧)، "الفلسفة الخلقية"، دار النهضة العربية - القاهرة، (ص: ٢٧٨).

(٢) حلمي، مصطفى، "الإسلام والمذاهب الفلسفية"، مرجع سابق، (ص: ١٣-١٤).

[فصلت: ٤١-٤٢] ، وقال تعالى: [الأنبياء: ١٨] ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلََّمُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلَ وَمَا يُعِيدُ ﴾ [سبا: ٤٨-٤٩] ، ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٣] ، ومما يضرب لهذا مثلاً قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَتَسَسَّ بِئِنَّكُنْهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَتَسَسَّ بِئِنَّكُنْهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأْتَأْهَارُ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٩] ، وهذا المعلم تستدعيه ما يقوم على الظنون من الممارسات التربوية والاجتماعية في الشريعة التربوية الغربية التي لا ترجع إلى نبوات حاكمة صادقة، ولا إلى يقين يذهب بالشكوك، فتفسيرها يرجع إلى المسلك التبريري الذي يسوغ الانطلاق من أسس معرفية وفلسفية لا تتصل بتلك الممارسات والسلوك، فتفسر السطوة الليبرالية بالحرية، ويفسر القسر الاشتراكي للفطرة ونوازعها بالعدالة الاجتماعية، وتفسر المثالية القسوة بتنمية قيم الخير.

وهذا التفسير لا يقوم على ساق بل يفسر بما هو حق وبينى على ما هو حق من الأسس المعرفية الحقة، وهذا المعلم مهم في عملية التأسيس والبناء والنقد، حيث إننا في حالة من الاجترار غير المنظم لمخرجات الأسس المعرفية والفكرية للفلسفات التربوية الغربية والشرقية، فنأخذ دون نقد هدمي بناء أو تحليل وتفسير معرفي يظهر الأسس التي يقوم عليها هذا النقل والتقليد، وهذا مطرد في التطبيقات التربوية المختلفة من الموقف التعليمي إلى الإداري إلى غيره.

ويذكر عطاري في هذا السياق أنه «لم يتردد المسلمون في استعارة الممارسات الإدارية من الحضارات الأخرى خاصة الفرس ومصر والهند، لكنهم استوعبوا ما استعاروه وطوروه وأضافوا إليه، ولكنهم كانوا مسلحين بإطارهم المرجعي الإسلامي. والمؤسف أن المسلمين اليوم يستعيرون الفكر والممارسات الإدارية

ولكن بدون مرجعية إسلامية. إنهم يتعاملون مع الفكر الإداري الغربي من منطلق الصواب العلمي (scientific correctness) ولا يقفون منه موقفاً نقدياً، وكما ظهر نموذج اعتبر وصفة سحرية إلى أن ينتقده الغربيون أنفسهم ويأتوا ببديل عنه، فيتبع المسلمون ذلك،... الذين لا يشاركون في عملية البلورة من البداية ولا يعون الافتراضات والمسلمات الفكرية التي تنطلق منها الاتجاهات الإدارية لا يستطيعون أن يطرحوا بديلاً ولا أن ينتقدوا آخر، إلا إذا كان المقصود بالنقد توجيه أحكام جارفة ذات نبرة عالية تتم عن العجز أكثر مما تتم عن الفهم. وقد أسميت هذا النهج في مكان آخر "نهج تسليم المفتاح" الشائع في بناء المشاريع، حيث صاحب المشرع يتسلمه من المقاول بعد الانتهاء من تشييده دون فهم لمخططاته أو مشاركة في تصميم بنيته التحتية، مما يجعله دائماً تحت رحمة المقاول»<sup>(١)</sup>.

ومن تطبيقات ذلك: توظيف الفكر التربوي المنبثق من القرآن الكريم لا ما ينطلق من المتناقضات الفلسفية كي تحكم في النصوص وفق غوايتها الفكرية التي لم تملك القدرة على تفسير أمور الغيب والمعاد مما حقق للعلمانية الحق كي تتصل عنها، وهو ما أحسنت فيه الديانات السماوية، «فالدyanات السماوية بعد أن قدمت إجابة دقيقة عليهما، أسست على هذه الإجابة نظاماً كاملاً في العقيدة والعبادة»<sup>(٢)</sup>.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولا يليق بالأئمة الذين بُعث فيهم النبي الأمي ﷺ بملة سهلة سمحة، والفلسفة -على فرض أنها جائزة الطلب- صعبة المأخذ، وعرة المسلك، بعيدة الملتمس، لا يليق الخطاب بتعلمها كي تُعرف آيات الله ودلائل توحيده للعرب الناشئين في محض الأمية؛ فكيف وهي مذمومة على ألسنة أهل الشريعة»<sup>(٣)</sup>.

(١) عطاري، عارف (١٤٢٩هـ)، "الإدارة التربوية مقدمات لمنظور إسلامي"، كتاب الأمة، العدد (١٢٣) المحرم - (ص: ٧٩-٨٠).

(٢) إبراهيم، زكريا، (١٩٧١م)، "مشكلة الفلسفة"، مكتبة مصر، القاهرة، مصر، (ص: ٢٨).

(٣) ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، مرجع سابق (١/١٦٥).



### المبحث الثالث

## أسس البناء التربوي الفكرية والمعرفية في القرآن الكريم

### المطلب الأول: منهجية القرآن الكريم في بيان أسس البناء التربوي

إن القرآن الكريم منهج هداية شامل، لا يستوفي طالب الهداية حظه من البصيرة والهدى إلا إذا أدرك خصائصه وأسلوبه في تناول الكليات والجزئيات التي تستوعب سائر شؤون حياته.

وإن من الفروق الواضحة التي تبين منهجية القرآن التمييز بين القضايا من حيث أهميتها وحاجة الناس إليها، وهذا اطراد في تناول ما يتعلق بالبناء التربوي وأسسها المتنوعة، ومنها الأسس الفكرية والمعرفية، حيث يظهر ذلك في الأبعاد الثلاثة:

١- يقرر القرآن الكريم التوحيد أصلاً علمياً شاملاً أكيداً تنبثق منه سائر الأسس التربوية وما يقررها من أساليب الخطاب في القرآن الكريم، وترجع إليه وتنساب خلفه الغايات والوسائل وسائر الممارسات والتفاصيل التي تتخلل أي فكر أو عمل، ففي قصد الأعمال ونتائجها لا يطلب العلم إلا للعمل، فالعلم لمحض العلم ليس فرعاً عن هذا الأصل- كما يظهر ذلك في بعض التوجهات الفكرية المعاصرة- والعلم معزولاً عن القيم الحاكمة والهادية إلى ذاك الأصل ليست من فروع أصل التوحيد، وهذا التفصيل يطرد في سائر الأمور والمنهيات في القرآن الكريم، وتنتهي إليه الخبريات.

ويذكر بريمة: «المبدأ الكلي الذي تنطلق منه الرؤية القرآنية للظاهرة الاجتماعية المعبرة عن حقيقة الحياة البشرية على هذه الأرض هو أن الله تعالى إنما خلق الإنسان

لعبادته: وعبادة الله تعني العلم به ثم القيام بأمره ونهيه في أرضه بمقتضى شرعه»<sup>(١)</sup>.

فالمعارف المتنوعة بين حقائق ومفاهيم وأسس ومبادئ ونظريات ومسالك الفكر التربوي في صورته المتنوعة بين استدلال واستنتاج وحل إشكال؛ كلها تلتقي عند تحقيق معنى العبودية في التحولات المرحلية للمعارف، وفي نتائج الفكر في بنية المعرفة الهرمية، وفي ما يتولد عن المفاهيم من أسس، فإن توحيد الله تعالى يبرز في الغايات والنهايات والقصود، وهو ما يحرك الدافعية نحو التأسيس والبناء وإعمال المبادئ.

**٢- تناول الأسس الفكرية والمعرفية في صورة قضايا كلية وأحكامها ثابتة ومقطوع بدالاتها على مدلولاتها وفي القضايا الجزئية وتنزيلها يترك للاجتهاد مدخلاً حسب الأوضاع ومتغيرات الزمان والمكان والبيئات والفروق الفردية، وغير ذلك مما تقتضيه حكمة الخالق وعلمه بخلقه.**

«وخطاب القرآن العظيم في معالجته للمحاور التي تناولتها إلى مستويات، ومن هذه المستويات مستوى معالجة الظواهر الكونية والقضايا الاجتماعية والإنسانية على اختلافها وتنوعها، فمن أنواع الخطاب القرآني ومستوياته نوع يتناول ما يتناوله من قضايا بتفاصيلها وفروعها ودقائقها، وذلك يمكن ملاحظته في دائرة الخطاب العائلي والأسري المتعلق بثوابت الأحكام المتناولة لقضايا الأسرة من نكاح وطلاق وميراث، ومنها أيضاً نوع يتعلق بالمقاصد العامة والقيم الحاكمة دون التعرض لجزئيات وتفصيل؛ لأن التفاصيل والجزئيات تترك للاجتهاد وفهم الحكماء على اختلاف الأزمنة والأماكن والأحوال، مثل: الشورى والعدل بين الناس»<sup>(٢)</sup>.

(١) بريمة، محمد الحسن إبراهيم، (١٤٣٢هـ) "رؤية القرآن للعالم ودلالاتها على أولويات المشروع الإسلامي في السودان"، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، سلسلة رسائل مجمع الفقه الإسلامي، السودان.

(٢) التيجاني، عبد القادر حامد (١٩٩٥م)، "أصول الفكر السياسي في القرآن المكي"، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (ص:٥).

فالأسس المعرفية التربوية للممارسات التربوية كالحوار والعقاب التربوي والتعزيز -مثلاً- تنبثق من أساس معرفي مشترك واضح ومطرد، وهو: تكريم الإنسان: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، ثم تبرز قضايا وتولد إشكالات يحتف بها من القرائن ما يمنع أو يجوز مستوى نسبي مما سبق، أو غيره من الصور العينية التي تستنفد صور التنزيل وما يناسبها من ممارسات تربوية.

**٣- يتنوع تناول القرآن الكريم للأسس التربوية الفكرية والمعرفية بصور شتى** ويستوعب ذلك أسلوب الإنشاء -الطلبي- والإخبار -التصديقي- وقد يتبادر إلى الذهن أن أسلوب الإنشاء هو الذي يتعين في تقرير تلك الأسس، إلا أن التفكير فيما تركه العلماء من تراث واستنباط مقاصد التشريع يظهر أن إيراد القصص في القرآن ومحض الإخبار عن مشاهد أو قضايا أو وقائع على جهة الخبر لا يعني أنها متمحضة للخبر، بل قد يقصد بها الاستفادة الإنشاء الطلبي، وهذه الأخبار غنية بالمفردات والجزئيات والمضامين التربوية المتنوعة التي تتظافر في بعض صورها لتشكيل أساساً فكرياً أو معرفياً تتفرع عليه ممارسات تربوية عملية، وعليه فاعتماد القرآن الكريم مصدرًا لاستنباط أصول التربية وأسسها المتنوعة؛ يحتاج إلى مراعاة هذا الامتداد في سائر ممارسات البناء، مع رعاية منهج القرآن في تناول الكليات ومعرفة أسلوبه في الإخبار والإنشاء.

وهذه القضية وإن كانت مستوردة من المجال الفقهي إلا أنها مهمة في هذا المنحى، وذلك أن القصص والأخبار وغيرها من الخبريات لها تعلق بالجانب التربوي والاستفادة مما تولده من مفاهيم وحقائق تستنبط بتدقيق النظر والتلطف في البناء على ما تقدمه من أسس معرفية واضحة، وكذلك تقدم أسس فكرية تتعلق بإعمال النظر في المعارف وترتيبها وتنظيمها وتوظيفها في بناء المفاهيم والنظريات وحل الإشكالات التربوية.

فمثلاً: تجد في قصة - أنبياء الله عليهم السلام - موسى مع الخضر وقصة إبراهيم مع أبيه وقصة يوسف مع إخوته وغيرها من القصص والمضامين التربوية ما يثمر أسساً معرفية وفكرية، وذلك بما تتكرر وتتنوع، فالإخبار فيه قيم ومفاهيم ومهارات تربوية يمكن التقاطها لتشكيل أساساً معرفياً أو فكرياً قيماً يعين على ممارسة تربوية واعية المعرفة والفكر مدد للقيم التي تشكل الميولات والاتجاهات.

و«التربية في جوهرها عملية قيمية ما دام هدفها تنمية الفرد والجماعة نحو الأفضل، والمؤسسات التربوية بحكم ماضيها وحاضرها ووظائفها وعلاقتها بالإطار الثقافي الذي نعيش به تسعى إلى بناء القيم في كل المجالات الخلقية والنفسية والاجتماعية والفكرية والسلوكية»<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثاني: مواضع الأسس التربوية الفكرية والمعرفية في البناء التربوي

إن مناقشة قضية الأسس الفكرية والمعرفية مناقشة مجتزأة ستعكس التسطیح لأثر المذاهب الفكرية الشمولية والفلسفات التربوية الشاملة التي لها بناؤها التربوي الذي يعكس أصولها المعرفية والتوظيف الفكري لها عبر امتدادات الممارسات التربوية، والذي يصبغ الفكر التربوي المعاصر في المجتمع العربي المسلم، ويقدم المعرفة كبنية مفاهيمية مترابطة لا يمكن تحييد خلفيتها النظرية عنها، مع إلزام عرفي باعتبارها المعيار في تقويم المخرجات التربوية وتبني مؤسسي يعزز هذا السلطان ويوهن المحاولات الفردية فضلاً عن التوجه المؤسسي لتبني استراتيجية وخارطة بحث تتبنى التأسيس وفق أصول الشريعة من كتاب وسنة وما يتفرع عنها من مبادئ ونظريات وتعميمات معرفية وفكرية تربوية والتي يشكل أساسها وجذرها التوحيد كأساس رئيس تقوم عليه الأسس الأخرى، والذي يستمد مادته ومقرراته من كتاب الله الكريم وسنة نبيه ﷺ.

(١) بركات، أحمد لطفي (١٩٨٣م)، "القيم والتربية"، دار المريخ للنشر، الرياض، (ص: ٣٢).

إن مما ييسر تمثل موضع الأسس الفكرية والمعرفية هو تمثل نموذج يحتزل مشهد البناء التربوي، وهذا النموذج ينبه على موضع أسس التربية الفكرية والمعرفية من البناء التربوي، حيث تبنى تلك الأسس على الأسس العقيدية التي تشكل أبعادها وتصوراتها والمواقف الفكرية المترتبة عليها في الحياة اليومية، وصورة المعرفة المنظومية التي تعد مدخلات الفكر ووسائله، فالفكر التربوي يستمد مبادئه وكفاءته النظرية في مواجهة مشكلات العصر من العقيدة السليمة النقية من الشوائب التي إذا تمكنت من الفكر هذبت جوانحه وزكت بصيرته، فلديه كفاءة عالية في انتقاء ما ينسجم، فلا يبرز أو يشوه البناء التربوي، وما يشيد ويجدد فلا يجمد ويبدد.

**وإذا أردنا أن نضبط مستويات وطبقات الأسس التربوية الفكرية المعرفية وعمقها وامتدادها في الفكر والمعرفة الإسلامية التي تستنبط من القرآن كموجهات رئيسة للفكر والمعرفة عموماً؛ فإن الأسس العامة تعتبر امتداداً للأسس التربوية الفكرية والمعرفية في المستوى العام، وهذه الأسس تظهرها الدراسات المقارنة والدراسات التي تتناول المنهج من منظور غربي؛ حيث تظهر الأسس الفكرية متداخلة مع المعرفة في القضايا الجوهرية، وهي: التصور عن الإنسان والكون والحياة، وهذه الأسس تمثل مخطط البناء التربوي العام الذي يفصل منهج البناء عن غيره من المناهج الفلسفية.**

ثم تظهر طبقة الأسس التربوية الفكرية والمعرفية في مستوى أعلى من السابق، حيث تترشح أسس أقل تجريداً، والتي تمثل الجانب التربوي وخصائصه والتي تنبثق من النظرية التربوية الإسلامية.

ثم يكثر الحديث عن الأسس الفكرية والمعرفية الأكثر تفصيلاً في اقتران التربية بالتعليم، حيث إن أي عمل أو ممارسة تعليمية هي في نفس الوقت تحمل المعنى

التربوي، فتظهر آثار الأسس في الممارسات الفكرية في مستويات بناء الأهداف التعليمية، وفي صياغة المحتوى الذي يحقق الأهداف، وكذلك في أساليب وطرق التدريس واستراتيجياته.

وتظهر الأسس والحاجة إليها في بناء المنطلقات الارتدادية لعملية النهضة بالتربية، حيث يظهر التداخل بين التربية وبقية المجالات الحياتية، ويظهر الفكر التربوي وسائله وغاياته ومجالاته بوضوح؛ ليوظف المعرفة التربوية التوظيف الفعال من أجل تربية أقوم.

فهذه الممارسات التربوية تبين أهمية الأسس وتم فصلها في البناء التربوي في مراحل التأسيس والبناء والتطوير والتجديد والتقويم، وهذا الملحق سينبه على الاتجاه الشمولي لعملية التأسيس التي تعتمد على القرآن الكريم، والتي سننبه على بعض أنواعها الذي يقتضيها ذلك الشمول.

### المطلب الثالث: استخراج الأسس التربوية الفكرية والمعرفية من القرآن الكريم

إن الدراسات التربوية والاجتماعية التي عنيت بالتصورات الفكرية والمعرفية العامة عن الكون والحياة والإنسان ودوره الوظيفي في هذه الحياة؛ دراسات موجهة بما أسسته الفلسفات اليونانية، حيث إن المفكرين المسلمين درسوا تلك الفلسفات فوجدوا قطيعة معرفية بين متلازمات سببها غياب النبوات وما صاحبها من وحي وبيان، فكان الاتجاه إلى الدراسات التجريبية واعتمادها في تفسير الظواهر ردة فعل - كما سبق بيانه - إلا أن شمول القرآن لمعالم الطريق الحق في أي وجهة يفتح الباب مشرعاً أمام اكتشاف عجائبه وكنوزه.

وقد بين تعالى أن المعرفة الدنيوية لا تغني عن ما هو أهم من المكمل لها وهي المعرفة الأخروية، وأنه مهما بلغ الإنسان من العلم فإن أمامه فرصاً للتعلم ولقدح زناد الفكر، قال تعالى في ذم من أنس بظاهر الحياة الدنيا ولم يلح فهمه بالمعرفة

الأخروية التي يدور عليها الوعد والوعيد والأجر والجزاء: ﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾ [الروم: ٧]، وقال تعالى في الفرص التي تزي الفهم وتهدي إلى الحق: ﴿سَرَّيْهِمْ أَأَيَّتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]، والقرآن فيه فرقان وهداية وبيان لمن استهدى وطلب وجوه المعارف، ولذلك أمر بالتفكر والتدبر والنظر، وهذا هو محور المطالب في التأسيس والاستنتاج والاستنباط في بناء المعارف، وفي أعمال الفكر، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، والقرآن فيه ما يسد ويرشد إلى الأسس العامة والمنطلقات المعرفية والفكرية التي تسد الممارسات التربوية والتعليمية وترشد إلى ما هو أهدى وأقرب للتقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

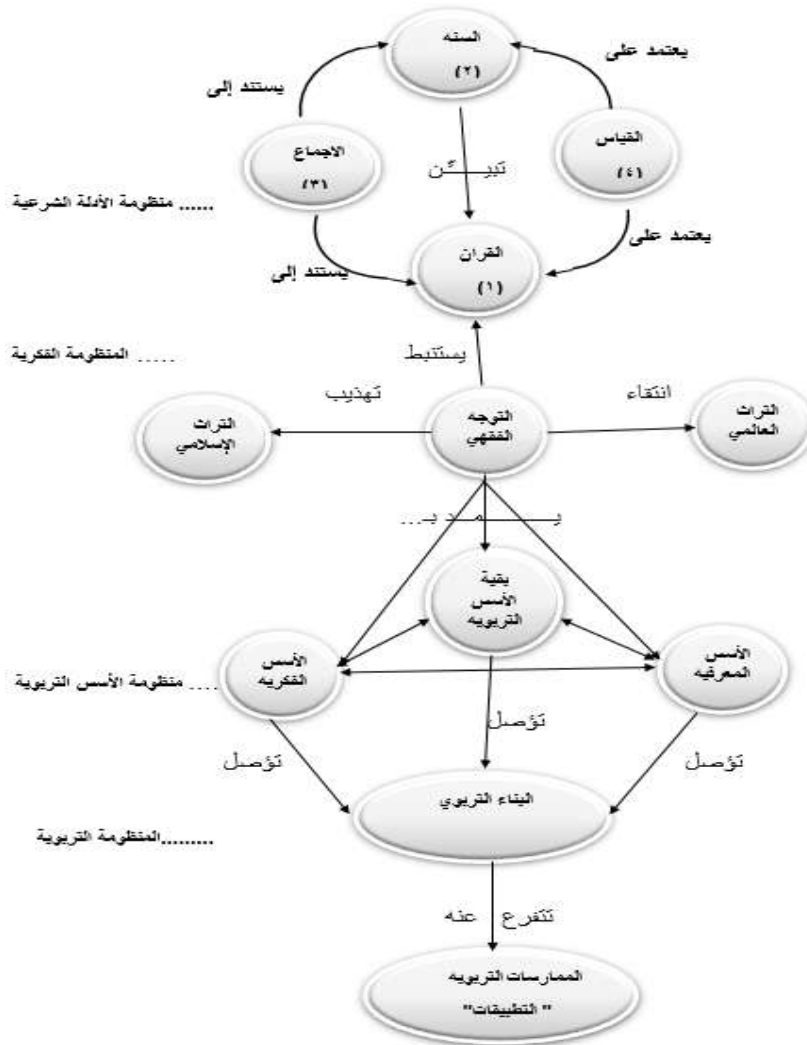
ويمكن أن نتمثل ما سبق تقريره في هذا المقام والمطالب السابقة باستخدام النمذجة التخطيطية لاستخراج الأسس المعرفية والفكرية من القرآن الكريم، حيث تظهر النمذجة شمول التصور الذي يستوعب المنظومات العامة التي تدخل في عملية استخراج الأسس الفكرية والمعرفية، والذي ينطلق من الأسس العامة للتصور الإسلامي ومن أصول الشريعة.

وإن من أهم ما يقع فيه الباحثون في علوم التربية عدم القدرة على اختزال الواقع المعقد للمتغيرات والمكونات للمنظومات التربوية المتأثرة ببعضها البعض، واكتشاف العلاقات التبادلية بينها بما يضمن توثيق تلك العلاقات ورعايتها أثناء أي ممارسة تربوية تأصيلية أو إجرائية أو تنفيذية والنمذجة التخطيطية تختزل المشهد وتقدم منظومة تصورية للمنظومات الفرعية ومستويات العلاقة بينها والتأثر

والتأثير، فالاستنباط من القرآن الكريم موصول بغيره من المنظومات التي يعين الوقوف عليها على إحراز الصواب في التأسيس والتأصيل، وتشيد البناء التربوي وفق ممارسات تربوية واعية لا كيفما اتفق.

شكل (١)

نموذج تخطيطي يوضح العلاقات المنظومية التي تراعى في استنباط الأسس المعرفية والفكرية





إن قراءة النموذج السابق يقرر أهم الأسس التربوية المعرفية والفكرية؛ حيث تظهر مكونات المنظومات والعلاقات التبادلية وذات الاتجاه الواحد أنواع الأسس وأهميتها، ثم تظهر أسس تفصيلية في حالة أخذ كل منظومة على حدة ودراستها وما يتفرع عنها من منظومات فرعية مجالية تعتمد على امتدادات الأسس في كل مستوى ومجال، فمثلاً: تظهر القراءة العامة للنموذج الخطوط العريضة للأسس المعرفية والفكرية العامة التي تتفرع عنها الأسس التربوية الفكرية والمعرفية، وأهم أصل تقوم عليه وهو التوحيد، حيث إن كل عمل أو علم أو اعتقاد إنما يرجى به غاية واحدة هي مرضاة الله تعالى، وهذا يظهر في اعتماد منظومة أصول الشريعة كمرجعية تبتُّ في أهم القضايا المصيرية، حيث تغيب هذه المنظومة في الفلسفات التربوية الوضعية ويحل محلها تشريعات التربويين التي تجازف في أحكامها العامة والخاصة، وفي ضوء العلاقة المنظومية بينها كما هو مبين في منظومة أصول الشريعة يظهر موضع القرآن الكريم كمصدر أولي تبينه السنة النبوية، ويتعزز بالإجماع والقياس اللذان يعتمدان على أصل الكتاب والسنة، وهذا الأساس يقوم عليه بيان مصادر المعرفة ومجالاتها وحدودها، ويبين وسائل الفكر وأدواته والمضامين التربوية المترتبة على ذلك، وعلى هذا الأساس تعالج القطيعة المعرفية بين العقل والنقل، وبين الغيب والشهادة، وبين سائر ما يتولد من فروض تقرر المسار الفكري التربوي والنظرية المعرفية وما يتفرع عنها، حيث يذكر الفاروقي: «أما فيما يتعلق بنظرية المعرفة فإن خير ما يوصف به موقف الإسلام هو أنه قائم على وحدة الحقيقة، وهذه الوحدة مستمدة من وحدانية الله المطلقة، إن الحق هو أحد أسماء الله الحسنى؛ وإذا كان الله واحداً بالفعل كما يؤكد الإسلام، فلا يمكن أن تتعدد الحقيقة. إن الله يعلم الحقيقة وينزلها من خلال الوحي صافية إلى خلقه، فلا يمكن أن يجيء ما ينزل به الوحي مختلفاً عما في الحقيقة الواقعية؛ لأن الله سبحانه هو خالق

الحقائق كلها الواقعية منها والمطلقة»<sup>(١)</sup>.

إن هذا الفرق الجوهرى ينساب أثره على كل الممارسات التربوية، ويؤثر بوضوح على الأسس المعرفية والفكرية ويرشدها ببينات التنزيل التي لا يقع فيها الوهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِنْدٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١-٤٢].

والنموذج السابق يقدم خط سير لاستنباط الأسس المعرفية والفكرية وفي أحوال مختلفة، وكالتالى:

- دعت الحاجة إلية بما يتبدى من دراسات مقارنة بأصول لمدارس فكرية مختلفة.
- أو بما يتبدى من إنشاء أسس تجتمع على تقريرها أدلة القرآن الكريم وتبينها السنة ويعززها صريح العقل.
- أو بما يبدية التساؤل أثناء الممارسات التربوية التي تقوم على أصل معرفي أو توجه فكري.

وهذا ما يقع اتفاقاً في سلوك التربويين الذين يستهدون به في ممارساتهم الفكرية والمعرفية، إلا أن النموذج يختزل المسلك الإجرائي العام ويعين على تصور خطواته العامة التي تتوارد في أحوال مختلفة كما سبق ذكره.

### المطلب الرابع: أمثلة لأنواع الأسس التربوية الفكرية والمعرفية في القرآن

إن العلاقة بين الفكر والمعرفة تنبه على أسس متقاربة ومشاركة يمكن التمييز بينها؛ إلا أن طبيعة الدراسة وما عولنا عليه من تتبع مظان الوصل والنظر الشامل الذي يعد أصلاً فكرياً وفقهياً، وما ييسر ذلك من بيان المضامين التربوية أو التطبيقات للأسس التربوية؛ يستدعي بيان أمثلة تفصيلية تنبه على مقصد الدراسة واتجاهها التأصيلي، من أجل ذلك نذكر جملة من الأسس المتنوعة التي تشكل

(١) الفاروقى، "أسلمة المعرفة المبادئ العامة وخطة العمل"، مرجع سابق (ص: ٥٢).

ضابطاً نظرياً للفكر والمعرفة التربوية وتقرب المثال، فمن الأسس المعرفية ما يلي:

### ■ المعرفة تراكمية وتزداد بإعمال الفكر وطلب الزيادة من الله تعالى.

المعرفة والعلم بحر لا ساحل له، والإنسان مطالب بطلب الزيادة تأسيساً لمبدأ استمرارية التعلم الذي استجد في العصر الحالي، فالمسلم يثور المعارف وينضجها الفكر والتجربة واكتشاف السنن الكونية والشرعية، فمعين المعرفة متجدد وهو في هذا مستعين بالله يرجو رضاه.

قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨] ، وقال تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤] ، وقال جل في علاه: ﴿ سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣] . وهذا الأساس له مضامين تربوية؛ فهو يبعث على الزيادة وحقن الحماس في الفكر ليقدم زناد المعرفة يستمر في طلب المعرفة والعلم والزيادة فيهما من المهد إلى اللحد، ويفتح الباب أمام الباحثين في علم نفس التعلم ليقروا والمشهد التربوي قراءة أخرى تعزز التعليم المستمر، وفي حالة من التفاؤل والرضا تستلهم العزيمة من طلب الزيادة من الله تعالى.

### ■ طلب المعارف وبذلها والتفكير عبادة يثاب عليها المسلم.

إن طلب أنواع المعارف من حقوقها المختلفة النظرية والتجريبية يؤجر عليه المسلم حسب مقاصده والفكر في الآفاق وفي الأنفس والتعرف على سنن السببية بين العلوم المتنوعة، وتتويج هذا الطلب باكتشاف الحكمة التي تجعل القلب يسجد بين يدي الله تعالى أكبر هدف وجداني يعمر القلوب والأرواح قبل الأجساد والعقول، وفي تدبر القرآن وطلب هدايته أكثر الموارد عذوبة وغدقاً، وكل الآيات التي تدعو إلى التفكير ترد في تقرير هذا الأساس وروداً أولياً.

قال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِن مَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: ٦٦].  
 وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرِّاتِ أَمْرًا عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤].  
 وقال تعالى: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا  
 سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩١].

ولهذا الأصل تطبيقات عديدة في ميدان العمل التربوي؛ فهذا الأساس هو لحاء الفكر الذي يصونه من شمس الكلل أو الملل، فالاحتساب كما أنه يزيد في الأجر فهو طاقة إنتاجية تولد المعارف وتمد الروح والوجدان بطاقة تهون على الجسد عباً معالجة العقبات والشدائد التي تقف أمام المربي والمتعلم، وتضمن هذه الحقيقة الشرعية في المناهج والكتب وتمثلها من المربين؛ يبعث على اكتساب المعارف وطلب العلم وتوقع نتائج أكبر مما تسجله أدوات القياس والتقويم والاختبارات المحكية والمعيارية والمسوح الإحصائية.

### ■ تفاوت المعرفة يستدعي فكراً يراعي التفاوت.

إن التراكم المعرفي من يوم خلق الله الخلق إلى الساعة كنطاق عام للمعرفة، ومن يوم خلق الله أي إنسان إلى الساعة كنطاق خاص؛ فيه مما يُنتقى من المعارف، وفيه ما يدحضه اليقين والتجربة والعادة، وفيه ما يتعزز الأخذ به لما تصقله وتهذبه المعارف الجديدة والفكر، وهذا عيار يضبط العملية الانتقائية، فالمعرفة تتفاوت في مصادرها، وتتفاوت حسب الحقول، وتتفاوت حسب مراتبها، ابتداءً من الحقيقة إلى المفهوم إلى المهارة إلى التعميم، وهذا في علم الغيب والشهادة، وهذا التفاوت يقرره القرآن ويقرر الأسلوب الفكري للتعامل معه حتى تطلب الحكمة من بابها ورتبتها ونوعها الذي هو مظنتها.

وقد قرر القرآن هذا المبدأ في أنواع التفاوت المذكورة؛ فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ فَسْتَلِّ بِهِ خَيْرًا ﴾ [الفرقان: ٥٩].

- وقوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].  
 وقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ [النمل: ٤٠].  
 وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [النجم: ١٨].  
 وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾ [الروم: ٧].  
 وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].  
 وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ  
 وَأُولَٰئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨].

وهذا الأساس الفكري غاية في الأهمية؛ حيث إن له مضامين تربوية كثيرة ومتنوعة، ففي مستوى التعامل مع الحقل التجريبي الذي يعج به التراث العالمي، وفي مستوى الغيب الذي يغيب عن مشهد المعارف في كثير من الفلسفات التربوية وفي التراث الإسلامي المتفاوت في درجات القبول والجودة وفي سائر المعارف يحتاج المفكر التربوي إلى حس استثمائي معرفي يعتمد هذا الأساس في الانتقاء والتخير وقصد المعلومة في مظانها دون مواربة في أي حقل كانت وفي أي رتبة ومن أي مصدر، فالمعرفة واحدة والوعاء مختلف ورب جوهره في كُناسة. ومن أمثلة الأسس الفكرية ما يلي:

#### ■ يعمل الفكر في تقرير المعارف بالبراهين والبيانات.

إن تقرير المعارف إثباتاً أو نفيًا ليس رميًا في عمية بل يعتمد على البراهين والبيانات والخبر الصحيح وحسب ما تقضي به بينات اللغة وحقايقها الشرعية والعرفية واللغوية، فليس للتحرُّص والظنون والإلغاء حض في إثبات أو نفي، سواء في العلميات والخبريات أو العمليات، وهذا منهج مطرد في القرآن الكريم وعليه الفكر والفقهاء الإسلامي المنتج الذي أثمر معرفة، وحقق إضافة معرفية في حقول المعرفة المختلفة.

يقول تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].  
 ويقول تعالى: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨].  
 ويقول تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].  
 ويقول تعالى: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ [يوسف: ٨١].  
 ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

ويقول تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَهُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجَالِهِمْ فَتُصِيبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ تَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

وهذا الأساس له مضامينه التربوية المنتشرة في سائر الممارسات التربوية، فإنما دخل العجز والتقهقر في ريادة الفكر التربوي لما وقف التربويون أمام المعارف المتنوعة، فلم يستطيعوا تحقيقها وتقدير براهينها والانخراط في الصف الأول في البناء والإضافة والتنقيح والتحقيق والاستدراك والتهديب وتنمية المهارات الفكرية التي تعالج البراهين وتنتج معارف جديدة، فدخل الوهم والظن والتخوف من سوطها ليقف رائد التربية المسلم متفرجاً أو مستهلكاً للمنتج الفلسفي الغربي، وهذا الأساس يقرر تنمية المهارات العليا في سلم المهارات كالتحليل والنقد والتركيب والتفكير الإبداعي ودمجها ضمن مقررات المنهج بصورة تكاملية أو مستقلة؛ وذلك أن المناهج الحالية لا تتجاوز المهارات الأساسية إلا نزرًا، وهذا في التدريس العام والجامعي على حد سواء.

### ■ توظيف الفكر للمعرفة موجّه وهادف.

إن المعرفة أيًا كانت حقيقة أو مفهومًا أو تعميمًا في المجال النظري أو التجريبي، لا توظف إلا في سياق الخير والمصلحة أو ما يؤدي إليهما.  
 فلا تطلب المعرفة من أجل المعرفة بل لمقاصد شريفة؛ فليس من مقاصد العلم

المباهاة والمباراة أو الممارسة أو الترف الفكري الذي ليس تحته عائد دنيوي أو أخروي، وهذا يعززه المراقبة لله تعالى وابتغاء وجهه في الإثبات والنفي، في الإقدام والإحجام، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ بَصِيرَةٍ. وَرُسُلُهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿لَوْلَا يَتَّبِعُهُمُ الْرَبِّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتِ لَلْبَأْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ. وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ عَلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].  
وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْرَدُوا فَإِنْ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَأَنْتُمْ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وقال تعالى: ﴿الرَّيْبُ أَنْ اللَّهُ يَرَى﴾ [العلق: ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

وهذا الأساس له مضامين تربوية متنوعة وفي مستويات مختلفة منه الجمع بين العلم والعمل، فليس العلم ترفاً أو لمجرد العلم وغنماً لما يثمره من خير، فالفصل بينهما ليس له أصل معرفي في القرآن الكريم.

فقد ذكر الكيلاني أهمية الربط والتكامل بين النظري والعملي، ويستدل بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول: «وهذا التكامل بين النظري والعملي ينمي لدى المتعلم القدرات العقلية ويربي فيه الإرادة النبيلة، ويساعد على النضج والتكامل في الشخصية، وهو أسلوب يخالف طريقة الفلاسفة الذين ظنوا أن المعرفة النظرية تمنح المتعلم سلوكاً كاملاً وشخصية متكاملة، وهكذا فإن الفلاسفة ضلوا وأضلوا، وقللوا من قيمة عبادة الله وأنزلوها إلى مستوى الرياضات التي تستهدف الترويح عن النفس»<sup>(١)</sup>.

وله كذلك تطبيقات منهجية في صياغة أهداف التدريس وصياغة المحتوى واختيار المعارف والمهارات التي تنمي الجانب المعرفي والمهارى والوجداني لدى الطالب، وتعزز قيمة التوظيف الهادف للأشطة وسائر المناشط التربوية لتحمل في جانبها النظري أهدافاً تربوية يستهدفها المعلم وتعزز الجانب الوجداني بما يدعجه المعلم من مفاهيم وحقائق وتعميمات تحث عليه، ثم بما يقرره المعلم ويؤكد من تمثل لهذا الأساس.

### ■ الممارسات الفكرية في أي حقل معرفي منضبطة:

إن الشروع في إعمال الفكر في أي معرفة أو أي نوع من العلوم؛ منضبط بمعايير ومحاذير احترازية وكشفية تحول دون التهوؤك والرجم بالغيب وتحجز عن البغي أو الجزاف العلمي، فكما أن البراهين والبيانات وتحري صحتها وصحة مقدماتها مطلوب، فكذلك هناك أدواء قد تؤثر في نتائج البحث قد تتعلق بالباحث أو بمتغيرات البحث أو بالطريقة التي يسلكها الباحث في تناول بحثه، فالهوى والظن والحب والبغض والتشيع وغير ذلك من الأدواء تحول دون رؤية الحقائق كما هي، وتصنع حولها هالة مضللة، وفي جهة ضبط المصادر نهى الله عن مصادر المعرفة

(١) الكيلاني، ماجد عرسان (١٤٠٧هـ) "الفكر التربوي عند ابن تيمية.. بحث في أصول التربية العقدية والاجتماعية الإسلامية كما يفسرها شيخ الإسلام بن تيمية دراسة تحليلية ناقدة"، مكتبة التراث المدينة المنورة، (ص: ١٧٥).



المضللة، فالكهانة والعرافة والسحر والخرافة وغيرها لا تعد مصادر معرفة ولا يعتمد عليها المفكر في تعامله مع عالم الغيب أو الشهادة، فينزل تلك المصادر منزلتها ولا يرهبها أو توقفه عن طلب الحقائق وتوظيفها في الوسط الذي تعيش فيه، بل يتسلح باليقين العلمي والمعرفي وما جاء في النقل من بيان للحيلولة دون تدجين النفس أو المجتمع للطفيليين الذين يتطفلون على مثل هذه المصادر.

جاء القرآن محذراً من أشد هذه الأضرار فتكاً، فمصادر المعرفة المضللة والهوى والحسد وما يفرزه الحب والبغض من آثار؛ نهى عنها وحذر من عواقبها وضرب الأمثال لضررها.

- فنهى تعالى الجدل العقيم لما له من أثر: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

- ونهى عن دوافعه الذاتية كالكبر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ فَاَسْتَعِذَ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦].

- وأمر بالتثبت في تقرير الحقائق: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنِيٍّ فَتَبَيَّنْهُمْ أَنْ تَصِيبُوا قَوْمًا بَٰجِهَلَةٍ فَضَبِّحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

- والقيام بالقصد والشهادة بالعلم به: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ [يوسف: ٨١].

- وعدم التكلف في أي ممارسة عملية، قال تعالى على لسان نبيه: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦].

- ونهى عن التقليد من دون علم في آيات عديدة، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا آفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولَٰئِكَ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

- ونهى عن العداوة لما تسببه من نتائج: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُورًا قَوْمِينَ  
لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يُجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ  
لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

- ونهى عن السحر وأبطل ما يقدمه: ﴿فَلَمَّا ءَلْقُوا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ  
إِنَّ اللَّهَ سَابِطٌ ءَلَّ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ ءَلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١].

وقال تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ  
ءَاتَىٰ﴾ [طه: ٦٩].

وقال جلّ في علاه: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامِرٍ وَلَكِنَّ ءَلَّذِينَ  
كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَىٰ ءَللَّهِ ءَلْكُذِبِ ءَلْكَثِيرِمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

إن هذا الأساس له مضامين تربوية تتعلق بجانب القيم والميولات والاتجاهات التي ينبغي أن يراعيها بناء المناهج في حلقات التعليم العام وفي الجامعة، وأن يكرس جهد التربويين في هذا الجانب حتى يصير ذلك عرفاً أكاديمياً ومهنياً عاماً، وهذا ما يغيب عن مشاهد العلاقات الاجتماعية لعدم تبني هذا الأساس والتأكيد على تمثله في مجريات البحث العلمي.

إن الأسس السابقة تقرب المثال الذي نسعى لإبرازه، وهو أن النظر الشمولي يقرر أنواعاً من الأسس تتنوع بتنوع الحقول والمصادر والوسائل والغايات، والقرآن - كما نلاحظ - عرض طرفاً من الأمثلة السابقة، استوعب هذه الأسس لما لها من أثر في إقامة الحجة على الخلق وحتى يقطع العذر على من علقت بقلوبهم شهوة أو شبهة علمية أو عملية، فالقرآن تعرض لهذا الجانب وبهذا الاعتبار بإسهاب يناسب الغاية التي ذكرت: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ءَلْحُجَّةُ ءَلْبَلِغَةٌ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَىٰكُمْ ءَلْجَمِيعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩].



## نتائج الدراسة

في ضوء ما تقدم من تقرير مطالب الدراسة؛ فقد توصلت الدراسة إلى نتائج يمكن إجمالها فيما يأتي:

- أن مفهوم التربية في ضوء نصوص القرآن الكريم له خصائصه المعرفية المميزة، وأن هناك علاقة تلازمية بين الفكر والمعرفية، وأن منهجية القرآن في تناول الأسس التربوية الفكرية والمعرفية تتصف بالعمومية، فتترك متسعاً للاجتهاد، ما تقضي به الظروف من حالات تشريعية ترجع إلى قدرة المفكر والتربوي على التعاطي مع المشكلات وتوظيف المعرفة.

- أهمية وجود آلية واتجاه فكري في سياق استنباط واستخراج الأسس من القرآن الكريم، وذلك لتنوع الاتجاهات الفكرية وتنوع الوسائل والمنطلقات، ومناسبة استخدام المنحى المنطومي كآلية لها خلفيتها النظرية الإسلامية، وترشح الاتجاه الفقهي كاتجاه فكري في استنباط الأسس، وعلى أن الفقه والفكر متلازمان في هذا المسار.

- أهمية الوعي بالممانعة التي تسببها التبعية الفكرية وصور التأويل والتبديل للنصوص الشرعية، وأنواع القراءات المفتوحة التي تتبنى وسائل وآليات لا تنتمي إلى أدبيات الفكر الإسلامي، ولا تلتقي مع معهود أهل اللسان، وتتبنى أسساً تربوية فكرية ومعرفية تنبثق من قراءتهم المتحررة.

- الأسس المعرفية والفكرية لها خصائصها المميزة، تظهرها الدراسات المتنوعة التي تتناولها بالبحث، ثم خصائصها التي تنبثق من خصائص القرآن الكريم العامة، وبعض تطبيقاتها التربوية.

- للأسس التربوية الفكرية والمعرفية معالمها مواضعها من البناء التربوي، وللتربية الإسلامية خصوصيتها والتي تصدرها البعد التوحيدي، وما يترتب عليه من مضامين تربوية تؤثر في الفكر والمعرفة. والتي ينبثق منها الإصلاح الشامل لا التهجين، والذي يراعي الخصوصية تلك.

- أهمية الوقوف على امتداد الجانب التأصيلي في محاولة بيان الشمول المنظومي في تناول الأسس واستنباطها، وبناء نموذج تخطيطي تقريبي يظهر العلاقات المنظومية بين المكونات التي تشترك في استخراج الأسس من القرآن الكريم، وفي ضوء قاعدة الوصل.

- ذكر بعض من أنواع الأسس المعرفية والأسس الفكرية كتطبيق عملي لما ذكر في المطالب.

### مقترحات وتوصيات:

في ضوء مباحث الدراسة ومطالبها توصي الدراسة بما يلي:

- بلورة استراتيجية تحديث تربوي يوجهها منطلق رعاية التأسيس وتقويم البناء التربوي؛ انطلاقاً من ضرورات الهوية التي يتصدرها الكتاب العزيز، تتناول الوسائل والطرق والمعايير وبصورة تكاملية وشاملة.

- تبني خارطة بحث تربوية تعنى بالتأصيل التربوي تتضمن أهم القضايا المتعلقة بالتأصيل والتأسيس وفي مستويات مختلفة، مع رعاية العلاقة التبادلية بين الفكر والفقه وتتصف بالشمول، فتستوعب أنواع الدراسات المختلفة التأصيلية والمقارنة والتاريخية والمنهجية.

- عمل دراسات تتعلق بكيفية استخلاص الأسس وضبطها معيارياً وبصورة إجرائية لتثري الدراسة الحالية وتعزز هذا المجال حيث تقل الدراسات المنهجية التي تركز على الطرق والوسائل والمعايير في منحى الدراسات التربوية والفكر التربوي.

- استثمار كافة الوسائل والتجارب التربوية التأسيسية الناجحة وجملة المحتوى الإلكتروني الهائل، لتحويله، إلى نماذج إرشادية تصبح كدليل بين يدي المعلم والمربي والأستاذ في الجامعة تيسر التأصيل والانطلاق من أسس واضحة في الممارسات التربوية.

## فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم (١٤١٦هـ)، "مجموع الفتاوى"، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.
٣. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام (١٤١٩هـ)، "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح"، تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، نشر: دار العاصمة، ط٢، المملكة العربية السعودية.
٤. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، (١٤٠٨هـ)، "تاريخ ابن خلدون"، تحقيق: خليل شحادة، نشر: دار الفكر، ط٢، بيروت، لبنان.
٥. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (١٤٢١هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان.
٦. ابن فارس، أبو الحسين الرازي (١٣٩٩هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، مصر.
٧. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل، (١٤١٤هـ)، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، لبنان.
٨. أبو ريان، مجدي الراعي، (٢٠٠٤م)، "آفاق الإصلاح التربوي في مصر"، المؤتمر العلمي السنوي لكلية التربية بالمنصورة بالتعاون مع مركز الدراسات المعرفية بالقاهرة، كلية التربية، جامعة المنصورة. مصر.
٩. أبو زيد، نصر حامد، (٢٠٠٥م) "إشكاليات القراءة وآليات التأويل"، نشر: المركز الثقافي العربي، ط٧، الدار البيضاء، المغرب.
١٠. أحمد، محمد عبد القادر، (١٩٩٠م) "انتقادات موجهة لمناهج التربية الإسلامية في الدول العربية"، مجلة التربية، (ع٩٣)، السنة العشرون، قطر.
١١. أرسطو، (١٩٣٤م) "علم الأخلاق"، ترجمة أحمد لطفي السيد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.
١٢. بركات، أحمد لطفي (١٩٨٣م)، "القيم والتربية"، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٣. بريمة، محمد الحسن إبراهيم، (١٤٣٢هـ) "رؤية القرآن للعالم ودلالاتها على أولويات المشروع الإسلامي في السودان"، سلسلة رسائل مجمع الفقه الإسلامي، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، السودان.

١٤. البيشي، عبد الله زايد (١٤٢٧هـ)، "التوجيه الإسلامي لمنهجية البحث التربوي المعاصر"، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

١٥. التيجاني، عبد القادر حامد (١٩٩٥م)، أصول الفكر السياسي في القرآن المكّي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

١٦. جرار، صلاح، المعرفة والفكر، مقال، تاريخ، نشر، الخميس ١٥-١٠-٢٠١٥م، موقع من المؤسسة الصحفية الأردنية - الرأي

<http://www.alrai.com/article/٧٤٣١٢١.html>.

١٧. الجرجاوي، زياد بن علي، جدلية الخير والشر في النفس الإنسانية والفكر التربوي الغربي والإسلامي، دراسة مقارنة.

[http://www.qou.edu/arabic/researchProgram/researchersPages/ziyad\\_Al\\_Jerjawi/goodAndEvil.pdf](http://www.qou.edu/arabic/researchProgram/researchersPages/ziyad_Al_Jerjawi/goodAndEvil.pdf)

١٨. حلمي، مصطفى، (٢٠٠٥م) "الإسلام والمذاهب الفلسفية نحو منهج لدراسة الفلسفة"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٩. الدوسري، إبراهيم سعيد (١٤٢٥هـ)، لمحات عن منهج القرآن في البناء التربوي ومعالجته، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ندوة أثر القرآن في تحقيق الوسطية ودفع الغلو، المملكة العربية السعودية.

٢٠. الرازي، ابن أبي حاتم أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، (١٤١٩ هـ)، تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، نشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط٣، المملكة العربية السعودية.

٢١. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر (١٤٢٠هـ)، "مفاتيح الغيب"، نشر: دار إحياء التراث العربي، ط٣، بيروت لبنان.

٢٢. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (١٤١٢هـ)، "المفردات في غريب القرآن"، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، نشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق، سوريا، بيروت، لبنان .

٢٣. الرملي، إسلام طارق عبد الرحمن، (٢٠١١م) "أثر توظيف المدخل المنظومي في تنمية المفاهيم الفقهية والاتجاه نحوها لدى طالبات الصف الحادي عشر في محافظة غزة،" رسالة ماجستير، كلية التربية في الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
٢٤. روسو، جان جاك، (١٩٥٦م) "أميل أو التربية"، ترجمة عادل زعيتر، دار المعارف، القاهرة، مصر.
٢٥. روشة، خالد (٢٠١٢م)، "الرؤية الإسلامية للعقاب التربوي مقارنة بالرؤية الغربية"، منشور على الشبكة على الرابط: <http://www.almoslim.net/node/١٦٣٤٥٣>
٢٦. زكريا، إبراهيم (١٩٧١م)، "مشكلة الفلسفة"، مكتبة مصر، القاهرة، مصر.
٢٧. الزهراني، صالح يحيى، (٢٠١٢م)، "منطلقات دراسة التربية المقارنة وضوابطها في ضوء التربية الإسلامي"، كلية التربية، قسم أصول التربية، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المملكة العربية السعودية.
٢٨. السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (١٤١١هـ)، "الأشباه والنظائر"، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٩. السعيدى، محمد إبراهيم، (٢٠١٤م)، منهج للبناء الفكري، مركز الفكر المعاصر، ط٢، نشر دار الوعي، المملكة العربية السعودية.
٣٠. سيف الدولة، عصمت، (١٩٨٦م)، "العروبة والإسلام"، دار المستقبل العربي، بيروت، لبنان.
٣١. الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي (١٤١٧هـ)، "الموافقات"، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، نشر: دار ابن عفان، القاهرة، مصر.
٣٢. شهاب، منى عبد الصبور محمد (٢٠٠٣م) "المدخل المنظومي والبناء المعرفي"، دراسة مقدمة للملتقى الفكري حول المدخل المنظومي في التدريس والتعلم، مركز تطوير تدريس العلوم، جامعة عين شمس، ١٦-١٧ ديسمبر. القاهرة، مصر.
٣٣. الشهري، عزه عابس (٢٠١٥م)، مبادئ التربية النفسية في القرآن الكريم وتطبيقاتها المعاصرة، رسالة دكتوراه من قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
٣٤. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (١٤٢٠هـ)، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشر: مؤسسة الرسالة.
٣٥. الطويل، توفيق (١٩٦٧م)، "الفلسفة الخلقية"، دار النهضة العربية - القاهرة، مصر.

٣٦. عبد المحسن، عبد الراضي محمد، (٢٠٠٦م) "ماذا يريد الغرب من القرآن"، كتاب البيان، مجلة البيان، سلسلة دراسات العالم العربي (٢) مطابع أضواء البيان.
٣٧. العسكري، كفاح، البياتي، فاطمة (٢٠٠٥م)، "الخير والشر في الطبيعة الإنسانية من منظور الفلسفات التربوية"، مجلة كلية التربية، الاصدار السادس، الجامعة المستنصرية، العراق.
٣٨. عطاري، عارف (١٤٢٩هـ)، "الإدارة التربوية مقدمات لمنظور إسلامي"، كتاب الأمة، العدد (١٢٣) المحرم.
٣٩. العقاد، عباس محمود، (٢٠٠٥م) "حقائق الإسلام وأباطيل خصومه"، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، القاهرة، مصر.
٤٠. علوان، علي محمد (٢٠١٤م)، فلسفة التربية في القرآن الكريم، من أصول التربية الوطنية في السودان، مجلة دراسات تربوية، كلية التربية، جامعة إفريقيا العالمية، فبراير، العدد الثالث، السودان.
٤١. علي، سعيد إسماعيل (٢٠٠٠م)، "القرآن الكريم رؤية تربوية"، جامعة عين شمس، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.
٤٢. علي، سعيد إسماعيل وآخرون (٢٠٠٨م)، "التربية الإسلامية المفهومات والتطبيقات"، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٤٣. علي، سعيد إسماعيل (١٩٩١م)، "اتجاهات الفكر التربوي الإسلامي"، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.
٤٤. عمر، أحمد مختار عبد الحميد (١٤٢٩هـ)، بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، نشر: عالم الكتب، القاهرة، مصر.
٤٥. الفاروقي، إسماعيل راجي، (١٩٨٣م)، "أسلمة المعرفة المبادئ العامة وخطة العمل"، ترجمة عبد الوارث سعيد، دار البحوث العلمية بالكويت، جامعة الكويت، الكويت.
٤٦. الفاسي، علال، "مقاصد الشريعة ومكارمها"، نشر مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، سنة (١٩٦٣م).
٤٧. فهمي، علي، (١٩٩٨م)، العلوم الاجتماعية (الأيدلوجية والواقع) ضمن كتاب: إشكالية العلوم الاجتماعية في الوطن العربي، ط٢، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، مصر.



٤٨. فهيم، محمد عيسى، (١٤٠٥-١٤٠٦هـ)، إعداد أعضاء هيئة التدريس في الخارج ومشكلات المعرفة والتعليم في الغرب، ط. ٢، مركز البحوث التربوية والنفسية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
٤٩. فودة، حلمي وصالح، عبد الرحمن. (١٩٩٢م)، "المرشد في كتابة الأبحاث"، ط ٦، دار الشروق، جدة، المملكة العربية السعودية.
٥٠. قاسم، أحمد، (٢٠١٢م)، "إنسانية التربية الإسلامية ودلالاتها التربوية"، أطروحة دكتوراه، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، عمان، الأردن
٥١. القيسي، دعاء (٢٠١٢م)، "دور مؤسسات التربية الإسلامية في علاج الفراغ الفكري"، رسالة ماجستير، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، عمان، الأردن.
٥٢. الكبيسي، عبد الواحد حميد، (٢٠٠٨م) "أثر استخدام المدخل المنظومي في اكتساب المفاهيم الرياضية والتفكير المنظومي لدى طلبة المرحلة المتوسطة في مادة الرياضيات"، كلية التربية، جامعة الأنبار، العراق، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الأول في المدخل المنظومي، جامعة الزرقاء، الأردن.
٥٣. الكيلاني، ماجد عرسان (٢٠٠٨م)، فلسفة التربية الإسلامية، دراسة مقارنة بالفلسفات التربوية المعاصرة، سلسلة نظرية التربية الإسلامية، دار الفتح للدراسة والنشر، الأردن.
٥٤. الكيلاني، ماجد عرسان (١٤٠٧هـ): "الفكر التربوي عند ابن تيمية.. بحث في أصول التربية العقدية والاجتماعية الإسلامية كما يفسرها شيخ الإسلام ابن تيمية دراسة تحليلية ناقدة"، مكتبة التراث، المدينة المنورة. المملكة العربية السعودية.
٥٥. المغربي، عبد الحميد، (٢٠٠٢م) نظم المعلومات الإدارية، جامعة المنصورة، المكتبة العصرية للطباعة والتوزيع، مصر.
٥٦. موسوعة ويكيبيديا  
[https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%84%D9%85\\_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A3%D9%88%D9%8A%D9%84\\_\(%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%84%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A3%D9%88%D9%8A%D9%84_(%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9)
٥٧. الندوي، أبو الحسن، (١٤٢٥هـ) "رجال الفكر والدعوة في الإسلام"، اعتنى به: سيد عبد المساجد الغوري، ط ٢، دار ابن كثير، دمشق، سوريا.
٥٨. نشوان، يعقوب حسين (١٩٩١م)، المنهج التربوي من منظور إسلامي، دار الفرقان للنشر، الأردن.

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٢٣٣	المُلخَص .....
٢٣٤	المقدمة .....
٢٣٨	مشكلة الدراسة وأسئلتها .....
٢٤٠	أهداف الدراسة .....
٢٤١	أهمية الدراسة .....
٢٤١	منهج الدراسة .....
٢٤٢	حدود الدراسة .....
٢٤٣	مصطلحات الدراسة .....
٢٤٤	المبحث الأول: البناء التربوي والقرآن الكريم .....
٢٤٤	المطلب الأول: مفهوم البناء التربوي والأسس الفكرية والمعرفية للتربية .....
٢٥٠	المطلب الثاني: خصائص أسس البناء التربوي الفكرية والمعرفية في القرآن .....
٢٦٨	المبحث الثاني: استخراج الأسس التربوية من القرآن .....
٢٧٠	المطلب الأول: المعايير العامة في استنباط أسس التربية الفكرية والمعرفية .....
٢٧٧	المطلب الثاني: معايير ومؤشرات في مسعى الاستنباط .....
٢٩٥	المبحث الثالث: أسس البناء التربوي الفكرية والمعرفية في القرآن الكريم .....
٢٩٥	المطلب الأول: منهجية القرآن الكريم في بيان أسس البناء التربوي .....
٢٩٨	المطلب الثاني: مواضع الأسس التربوية الفكرية والمعرفية في البناء التربوي .....
٣٠٠	المطلب الثالث: استخراج الأسس التربوية الفكرية والمعرفية من القرآن الكريم .....
٣٠٤	المطلب الرابع: أمثلة لأنواع الأسس التربوية الفكرية والمعرفية في القرآن .....
٣١٣	نتائج الدراسة .....
٣١٤	مقترحات وتوصيات .....
٣١٥	فهرس المصادر والمراجع .....
٣٢٠	فهرس الموضوعات .....